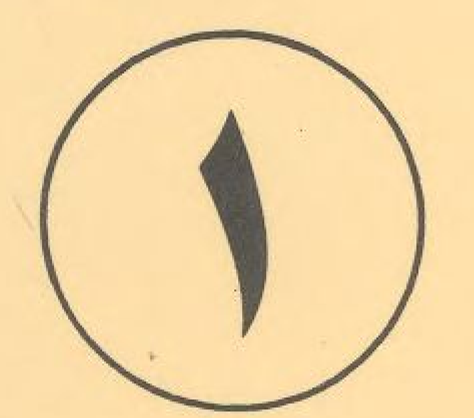
أبناء يهوذا في الخفاء



جذور الفكر اليهودي

تأليف
داود عبد العفو سنقرط





جذور الفكر اليهودي

الطبعة الثانية

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

الرقم المتسلسل (٤٣)



دار الفرقان للنشر والتوزيع

عمان - الأردن

ص. ب ٩٢١٥٢٦ - هاتف ٦٤٠٩٣٧ - ٦٤٥٩٣٧ - ٦٢٨٣٦٢

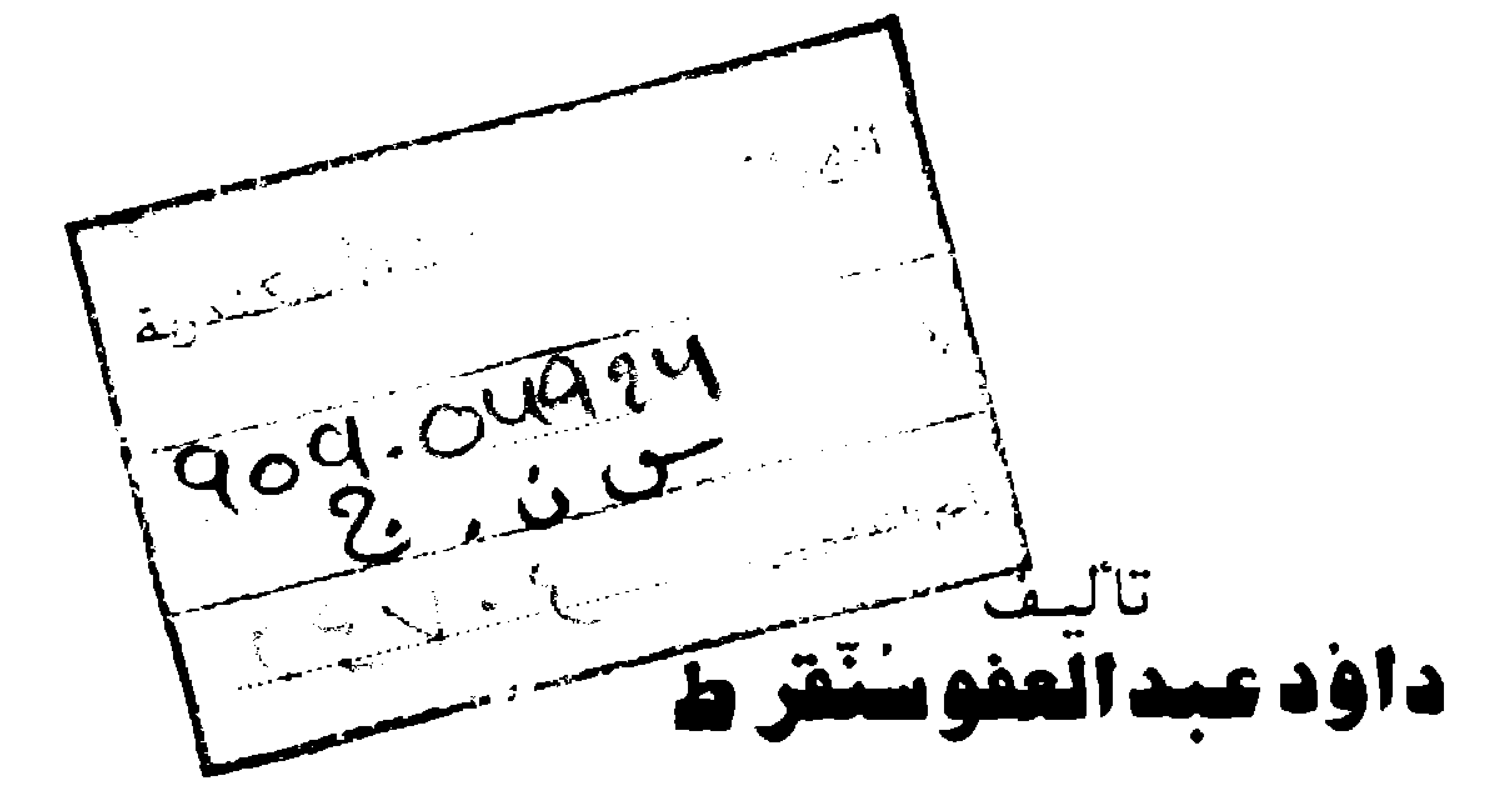
العبدلي : عمارة جوهرة القدس

30795

31774

أبناء يهوذا في الخفاء

جذور الفكر اليهودي



تأليف
داود عبد العفو سنقرط

DL



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

في هذا العصر، عصر الشطائر الثقافية، حيث انتزعت أشرطـة الجريمة والعنـف والجنس القـارىء مـن المكتبـات وقاعات الدرس، وأجلسته أمام شاشات السينما والتلفزيون..

في هذا العصر، عصر الانتاج السلعي، حيث أصبح الحصول على المادة واقتنائها غاية لا وسيلة، وحيث أضحى الإنسان عبداً في أسواق النخاسة الحديثة..

في هذا العصر، عصر السرعة المجنونة والزمن اللاهث، حيث لا وقت للإنسان يجلس فيه إلى نفسه يحاسب نفسه أو يمتعها بمتع الروح، بعد أن بلّدت فيه المادة كل حسٍ بمتعة روح..

في هذا العصر، حيث الإعلام ضلالاً وتضليلاً، وحيث الحقيقة يتماً وضياعاً، وحيث الإنسان رقماً يقيّم بالدرهم والدينار، لا بالقيم والأفكار.. أقدم لك، قارئي الكريم كتابي «أبناء يهوذا في الخفاء» راجياً أن أدخل به إليك خلوتك، أو أن أقتحم به عليك زحمة الحياة، لأجلو لك

شيئاً من الغموض الذي غلّف ويغلف به عدونا نفسه.. فأولى خطوات محاربة العدو هي معرفته معرفة صحيحة دقيقة، وإلا بقينا نضرب في الظلام..

لقد اقترح عليّ بعض من اطلع على هذا الكتاب، من زملائي وأصدقائي، وقبل دفعه إلى المطبعة، بأن أقدمه إلى القاريء في كتيبات مسلسلة، حتى يسهل على القاريء الحديث المرهق المكدود، الممزق فكرياً وعاطفياً، قراءته ومتابعته في جرعات متلاحقة، ومن ثم طباعته كاملاً وهو ما كنت أرغب فيه ابتداءً حتى تتكون صورة متكاملة عن عدونا في مساره التاريخي خلال أربعين قرناً: عشرين قرناً قبل الميلاد، وعشرين قرناً بعده.. سارها في طريق واحدة، لم يَحِدْ عنها إلى غيرها، طريق الضرب في الظلام بعصا الغير، ووسائل الإغراء والتآمر والتضليل..

وسيصدر الكتاب تباعاً على الشكل التالي: -

١ - جذور الفكر اليهودي.
٢ - القوى الخفية لليهودية العالمية.
٣ - اليهود في المعسكر الغربي.
٤ - اليهود في المعسكر الشرقي.
٥ - اليهود في الوطن العربي.

قارئي الكريم . .

لقد حرصت على اللجوء إلى الأسلوب القصصي في بعض الأحيان، لأخفف عنك شيئاً من الملل من طول السرد وتدافع الحقائق والمعلومات، ولكي أجمع لك الفائدة مع المتعة، كلما وسعني ذلك، فأرجو أن أكون قد وفقت إلى ذلك .

قارئي الكريم . .

نحن ندرس التاريخ، كما تعلم، للعبرة والعظة . . ندرس تاريخنا ليزودنا بطاقة روحية تعيننا على العمل المنتج الجاد، وليوجه خطانا ويسددها في المسيرة إلى مستقبلنا، فالحياة أشبه بنهر، والنهر لا يكتمل إلا بمنبع ومجرى ومصب. فالماضي هو منبع نهر الحياة، والحاضر مجراه، والمستقبل مصبه، بلا فصل ولا تجزئة، وإلّا انساح النهر سبخاً في سهول الحياة، أو غار في أعماق صحاراها . ونحن ندرس تاريخ عدونا حتى نتعرف على مواضع قوته ومكامن ضعفه، وعلى أساليبه وخططه في مواجهتنا ومواجهة مشاكل الحياة، كي يسهل علينا وقوفنا في وجهه والتغلب عليه .

قارئي الكريم . .

اقدم لك « أبناء يهوذا في الخفاء » . .

فمتى كانت الخفافيش تعرف النور؟!

ومتى كان اليهود يعرفون غير الظلام والإظلام؟!

فاعرف أخي القارىء مؤامرات اليهود الكيدية لتكون أقدر على محاربتهم والله سبحانه ولي عباده المؤمنين، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز.

الفصل الأول
أسمـــــاء ومسميات

١ـ اليهود نثارٌ تاريخي

٢ ـ العبرانيون

٣ ـ بنو اسرائيل

٤ ـ اليهود

٥ ـ سام والساميون

٦ ـ من تاريخ الساميين

٧ ـ اللاسامية

٨ ـ قوم موسى

١ ـ اليهود نثار تاريخي:

يستقي اليهود تاريخهم، بالدرجة الأولى، من التوراة. والتوراة التي بين أيديهم كتاب خالطه الكذب والزيف والتضليل، وامتزجت فيه الحقيقة بالخرافة بالخيال، فلا يستطيع المؤرخ لذلك أن يعتمد عليه مصدراً يستقي منه معلوماته. وعلى الباحث أن ينبه قارئه منذ البداية باستحالة الوصول إلى نتائج محددة مؤكدة فيما يتعلق ببداية تاريخهم بصورة خاصة، وتاريخهم كله بصورة عامة، لأن اليهود، منذ أن وجدوا على مسرح التاريخ العالمي، وهم يغلفون تاريخهم بالأسرار والألغاز، ويظهرون من أمور حياتهم غير ما يبطنون.. فتاريخهم كله ليس إلا صراعاً بينهم وبين امبراطوريات عظيمة وأمم كبيرة كانوا يعيشون في كنفها، بصفتهم قلة قليلة مستضعفة، ذات نشاط أوسع من إمكاناتها، وأطماع أوسع من أن تحتملها تلك الإمبراطوريات والشعوب التي كانت تبتلى بها، فلجأوا لذلك إلى أسلوب الضعيف المستضعف المراوغ.. أسلوب الكذب والغش والعمل في الخفاء. وانسحب ذلك كله على تاريخهم كله، فلا يعرف العالم حتى اليوم ماذا يريده اليهود، بينما اليهود يعرفون بالضبط ماذا يريدون، وماذا

يراد بهم. تاريخ اليهود إذن تاريخ مبهم غامض، لا يرى الناس منه إلا ما يستنتجه الناس، أو ما يقدمه اليهود لهم منه على أطباق من الزيف والتعالي والضلال والتضليل.

لقد لاحظ النقاد أن أسفار العهد القديم، وهي المصدر الأساسي لتاريخ اليهود، تحتوي على كثير من الخرافات والأساطير وعلى أمور خيالية تناقض الحقيقة والواقع. كما لاحظوا وجود اختلاف جلي في أسلوبها اللغوي، لا بين سفر وسفر، ولا بين إصحاح وإصحاح فحسب، بل وبين كل فقرة وأخرى في الإصحاح الواحد، في كثير من الأحيان. ولاحظوا كذلك أن بعض الأسفار قد جنحت إلى التفصيل أحياناً، وإلى الإجمال أحياناً، مما جعل أولئك النقاد يؤكدون بأن هذه الأسفار قد كتبت في أزمنة مختلفة وبأقلام مختلفة، بمعنى أنه لم تنتظمها وحدة زمانية ولا مكانية واحدة.. فهي لذلك لا تصلح لأن تكون أساساً لأي شيء، لا سيما وأن مدونيها لم يميزوا بين الخرافة والتاريخ، ولا بين الحقيقة والخيال[١].

ولما كان اليهود جماعة لا وزن لهم قبل عهد داود وسليمان، فقد رجح بعض الباحثين أن كتابة تاريخهم، ومنها أسفار العهد القديم، لم يبدأ بتدوينها إلا في عهد سليمان، في القرن التاسع قبل الميلاد، وما يليه[٢]، وبصورة أولية. لقد

(١) المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل، محمود نعناعة، ص ٥٠

(٢) المصدر السابق، ص١١

تعرضت التوراة، منذ كتابتها، للزيادة والحذف والدمج والتنقيح، حتى استقرت على حالتها الراهنة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. ويعتقد بأن الأسفار الخمسة القديمة ـ التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية ـ قد أدمجت في القرن الرابع قبل الميلاد لتشكل الأسفار الأولى للعهد القديم، أما بقية الأسفار الأخرى فقد تأخر إدماجها مع سابقتها حتى وقت متأخر من القرن الثاني قبل الميلاد[٣]. فاذا علمنا أن التوراة قد تكلمت عن الكون والعالم، منذ بدء الخليقة حتى الانتهاء من كتابتها، وأنها كتبت في مدى قرون عدة، وبأقلام مختلفة وأزمان مختلفة وظروف مختلفة كذلك، أدركنا لماذا لا يعتبرها المؤرخون الجادون مصدراً يعتمد عليه، لاسيما وأن الكذب والزيف والتضليل بارزة في أعطافها. وأول ما يصادفنا من ذلك تسمية أنفسهم.. فتارة يسمون أنفسهم العبرانيين، وتارة يسمون أنفسهم بني اسرائيل، أو الساميين، أو الموسويين، أو اليهود، ولو انهم يفضلون أن يسموا بني اسرائيل، لأسباب سنذكرها في حينها. فهل العبرانيون، وبنو اسرائيل، والساميون، والموسويون، واليهود أسماء لمسمى واحد، أم أن لكل منها مدلوله الخاص به؟

---

(٣) المصدر السابق، ص٥١

٢ ـ العبرانيون:

وفي تسمية العبرانيين قيل أكثر من علة.. فسفر التكوين يزعم أن العبرانيين ينحدرون من نسل عابر بن فالج بن أرفكشاذ بن سام بن نوح. ويؤثر فريق من المؤرخين إرجاع هذه التسمية إلى عبور الصحراء، أو عبور النهر، على أساس أن القبائل التي كانت تسكن جزيرة العرب، منذ القدم، كانت تعبر الصحراء العربية، في سني القحط والجفاف، إلى أنهار الهلال الخصيب. ومن كلمة العبور هذه جاءت كلمتا: العبرانيين والعرب. وقد أصبحت هذه التسمية عامة شاملة، تطلق على كل من يعبر الصحراء إلى الهلال الخصيب ووادي النيل، من جزيرة العرب. ويميل فريق آخر إلى القول بان لفظة عبراني أو عبري ليست إلا تحريفاً لكلمة خبيرو. والخبيرو اسم كان يطلق، منذ الألف الثاني قبل الميلاد وما سبقه، على طائفة من نثار قبائل، ظهرت في شمالي جزيرة العرب وبادية الشام، لم تكن تجمعهم قرابة سلالية لأنهم كانوا يشكلون مجموعات من اللاجئين المهجرين عن أوطانهم، جمعت بينهم ظروف وأغراض مشتركة، فتحولوا بذلك إلى عصابات من المشاغبين الخارجين على القانون، ثم شكلوا واحدة من المجموعات التي عرفها التاريخ باسم الهكسوس، وهي كلمة يونانية تعني الرعاة[٤]. فهم إذن خليط من الناس. جمعهم الحرمان وسوء

(٤) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة. ص٥٥ ـ ٢٤٢

السلوك، فأشبهوا بـذلـك الصعـاليـك في العصر الجاهلي، والعيارين في العصر العباسي. وقد استهوى هذا التعبير اليهود، فاحتكروه لأنفسهم، مع أن العبرانيين فيهم قلة قليلة لا تكاد تذكر. ولما كان الهكسوس، الذين شرعوا يتسللون إلى مصر، مع غروب شمس القرن العشرين قبل الميلاد، طوائف من البشر مجهولة الهوية والمنبت إلى حد ما، لذلك استنتج بعض المؤرخين أنهم ضموا، فيمن ضموا، جماعات متعددة من الأجناس كالحثيين، والحوريين، والخبيرو أيضاً. ولقد كان المؤرخ اليهودي فلاڤيوس يوسيفوس، الذي ظهر في القرن الأول قبل الميلاد من أكثر المؤرخين اندفاعاً لتوثيق الصلة بين الهكسوس وبين العبرانيين. ومن المرجح أن العبرانيين دخلوا مصر بشكل مجموعات تابعة للهكسوس، وأنهم خرجوا منها مع موسى بخروجهم. ولأمر ما سميت مدينة الخليل بمدينة خبرون[٥]، وسميت مدينة خيبر بهذا الاسم أيضاً. والتوراة تتحدث عن العبرانيين، حين تذكرهم باسمهم، بصفتهم غرباء عن اليهود وبني اسرائيل، وليسوا في الأصل منهم[٦]!

٣ ـ بنو اسرائيل:

تحدد التوراة مولد ابرام (ابراهيم الخليل) بعام ١٩٩٦ ق.م. وابراهيم، ولا شك، عبراني بدوي آرامي، عبر مع

(٥) اسم مدينة الخليل القديم قرية أربع، أو ممرا.
(٦) المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل، محمود نعناعة، ص٥٧ـ٦٥.

أهله جزيرة العرب إلى نهر الفرات، أو عبروا هم قبل أن يولد، واستقروا في مدينة أور الكلدانيين بجنوب العراق. اسم والده تارح، وكان يلقب بآزر، نسبة إلى صنم اشتهر بصناعته وعبادته. أما أمه فاسمها عوشاء.

لقد ظهرت على ابراهيم، منذ حداثته، أمارات ذكاء مبكر، فتحدى بذلك عبادة قومه، وأفحم النمروذ ملكهم عندما حاجّه، فتعرض بذلك للتعذيب ولمحاولات إحراق، فهاجر مع قلة من أهله وأتباعه فراراً بدينه، محاذياً نهر الفرات، حتى استقر بمدينة حاران (حران) في أرض الجزيرة الفراتية مدة، ثم رحل إلى شكيم (نابلس) حيث مكث فيها مدة، إلى أن استقر به المقام أخيراً في حبرون ومن الخليل كان ابراهيم يرحل إلى مصر وبلاد الحجاز لبعض شأنه، ثم يعود إليها. وفي الخليل دفن ابراهيم ومعظم أفراد أسرته وذريته في مغارة المكفيلا، تلك المغارة التي اشتراها من صاحبها عفرون الحثي لتكون مقبرة له ولآله من بعده.

ولإبراهيم. كما هو معلوم. ولدان: اسحق من زوجته ساراي (سارة)، واسماعيل من جاريتها المصرية هاجر. وتزوج اسحق من رفقة فولدت له توأمين ذكرين هما عيسو ويعقوب، كما تزوج اسماعيل من رعلة الجرهمية(٧) فولدت

---

(٧) العرب واليهود في التاريخ. د. أحمد سوسة، ص١١٧

له نسلاً في الحجاز. وتزوج يعقوب، المقلب باسرائيل، ببنتي خاله لابان: ليا (لائقة)، وراشيل (راحيل) كما تزوج من جاريتيهما أيضاً: بلهة، وزلفة، فانجبن له بنتا اسمها دنيا، واثني عشر ذكراً، كالآتي:

لائقة أنجبت له ستة أسباط هم: راؤبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزبولون، ويساكر.

وراحيل أنجبت له سبطين هما: يوسف، وبنيامين.

وبلهة: أنجبت له سبطين أيضاً هما: دان، ونفتالي.

وزلفة أنجبت له هي الأخرى سبطين هما: جاد، وأشير.

ومن هؤلاء الأسباط الإثني عشر تحدر بنو اسرائيل. فبنو اسرائيل إذن هم نسل أسباط يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الاثني عشر.

٤ ـ اليهود:

واليهودية تسمية تنسب إلى يهوذا، السبط الرابع ليعقوب، من زوجته لائقة. ويهوذا هذا هو الذي أشار على إخوته بإلقاء يوسف في الجب، واتهام الذئب بدمه. أما اليهود فإنهم أتباع التوراة والتلمود، سواء كانوا من بقايا العبرانيين، أم من بني اسرائيل، أم من غيرهم من الأمم الأخرى الذين اعتنقوا الديانة اليهودية، قديماً وحديثاً.. وهؤلاء هم غالبية اليهود العظمى، إذ يشكلون بمجموعهم

أكثر من ٩٠٪ من عدد اليهود في العالم، ومعظمهم ينحدر من أصل مغولي تتري، اعتنقوا اليهودية في بلاد الخزر، في القرون الوسطى، بعد أن اعتنقها ملكهم هناك. ومن بلاد الخزر انتشرت اليهودية في أوروبا الشرقية.. في روسيا وبولونيا والمجر وغيرها. ومن أوروبا الشرقية انساح اليهود في أوروبا الغربية، ثم هاجروا إلى امريكا بعد اكتشاف أمريكا. ومما يجدر ذكره أن معظم يهود أمريكا واسرائيل من هؤلاء. وهؤلاء هم بارونات المال والأعمال في أمريكا وأوروبا، المتحكمون بذهب العالم وسياسته. ومنهم غلاة الصهاينة، وحكام اسرائيل وقادتها.

لقد حاول اليهود قديما، وما يزالون يحاولون حديثاً، هدم الفوارق والحدود بين هذه التسميات: العبرانيين، وبني اسرائيل، والساميين، والموسويين.. لا لسبب إلا لأنهم أرادوا أن يدخلوا في روع الناس أنهم جميعاً من نسل أسباط يعقوب (اسرائيل)، حتى يرجعوا بنسبهم إلى ابراهيم، أبي الأنبياء والمرسلين.. فهم بذلك الأشرف جنساً، والأصل نسباً، والأصدق ديناً.. فهم هم الأصل، هم شعب الله المختار، وما عداهم من الأمم والشعوب ليسوا إلا جداول وروافد، تنبع منهم، وتصب فيهم.. عقدة نقص تحكمت في اليهود، منذ أن وجد اليهود،

فأورثتهم حب التعالي والفخر الزائف[٧]، لدرجة أنهم مايزالون يزعمون بأن الغويم (الأغيار) ما خلقوا على هيئة البشر إلا ليخدموهم، ويسبحوا بحمدهم، ويعترفوا بأفضليتهم عليهم. كما لا يزالون يزعمون بأن كل ما في أيدي الأغيار من مال ومتاع إنما هو ملك خالص لهم، يجب استرداده منهم بكل وسيلة ممكنة، أخلاقية كانت أو غير أخلاقية.

وليس من تعليل لهذه الترهات سوى أن اليهود كانوا يشعرون دوماً بشعور الطفولة، لأنهم كانوا، على امتداد تاريخهم الطويل، ضعفاء مستضعفين، لا وزن لهم في نظر من كانوا ينزلون في كنفهم، ويحتمون بحرابهم، فعوضوا عن ذلك بفخر زائف، ولذلك كرههم الناس ونبذوهم. ولهذا طاردهم التاريخ، منذ ان حاولوا تسلق التاريخ، وعَزَلَهم حقدهم وإجرامهم، منذ أن حلُّوا بين الناس، لدرجة أن قال فيهم غوستاف لوبون: «كان بنو اسرائيل أخلاطاً من شعوب جامحة، تشكل مجموعة بدوية غير متجانسة، من قبائل سامية صغيرة، تقوم حياتها على الغزو

(٧) مكرر.
جاء في الإصحاح ٢٠ من سفر اللاويين: «أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب».
كما جاء في الإصحاح ٧ من سفر التثنية: «إياك اختار الرب إلهك لتكون شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض».
وجاء في الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين: «ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل».

ونهب القرى الصغيرة، حيث تقضي عيشاً رغيداً لبضعة أيام، ثم تعود إلى حياة التيه والبؤس[8]

اليهودية إذن دين له أتباعه بين الأمم والشعوب، كما أن كلاً من الإسلام والمسيحية دين له أتباعه بين الأمم والشعوب.. فليس جائزاً ولا معقولاً أن ينحدر جميع يهود العالم من نسل رجل واحد هو اسرائيل، فيعدّ اليهود بنيه، أي بني اسرائيل، وإلا لزعم المسلمون كذلك أن جميع مسلمي العالم ينحدرون من نسل رجل واحد هو محمد. ويكفي أن نزور اسرائيل اليوم لنرى: الأحمر والأبيض والأصفر والأسمر والأسود.. ونرى الروسي والبولوني والهندي واليمني والإيراني والسنغالي،.. نرى جميع أمم الأرض ممثلة في هذا المجتمع الفسيفسائي المتنافر، الذي يضم يهوداً قدموا إلى اسرائيل من ١٠٢ قطر[9]. وسوف نرى في الفصول القادمة أن تاريخ اليهود كله يتلخص في كونهم حفنة من شذاذ الآفاق، كانوا يجوبون الأقطار بحثاً عن الحماية والثروة، وكانوا يضطهدون ويعذبون وينفون بسبب تعاليمهم وحقدهم وإجرامهم.. واسرائيل خير مثال على ذلك.

---

(٨) خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل، ص٢٢. نقلاً عن «اليهود في تاريخ الحضارات الأولى» لغوستاف لوبون.

(٩) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص٣٦٩

٥ ـ سام والساميون:

كانت جزيرة العرب، في نهاية العصر الجليدي الأخير، في الألف العشرين قبل الميلاد، عامرة بأنهارها الدائمة الجريان، وأمطارها الغزيرة، وخضرتها النضيرة، ومدنها وقراها وسكانها الذين نرى بعض آثارهم ونسمع ببعض أخبارهم[١٠].. نرى آثار سدود، ومجاري أنهار جافة، وبقايا مدن دارسة، ونسمع بإرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد.. ونسمع بمن عايش عاداً وثمود من العرب البائدة كطسم وجديس وغيرهم..

ثم دارت الأرض حول الشمس، ودارت الشمس من مجرة طريق التبان، في كون شاء له خالقه ألا يهدأ، فالسكون موت، والحركة حياة متجددة. وهكذا يتغير مناخ الأرض بتغير موقعها من الكون لكل فترة من عمر الكون، فتتغير بذلك دورة الحياة عليها من نبات وحيوان، لتلائم المناخ الجديد.. فمناطق مخصبة تصبح صحارى جرداء، وصحارى جرداء تضحى مناطق مخصبة، وهكذا.. ويصيب التغير الحيوان كذلك، فيدور بدورة المناخ والنبات، ويهاجر معها من موطنه الأصلي إلى مواطن جديدة أكثر ملاءمة لحياته الجديدة. وبعضه لا يستطيع، لسبب أو لآخر،

---

(١٠) المصدر السابق. ص٨

الارتحال أو التأقلم السريعين، فيندثر ويموت. يدلنا على ذلك ما نكتشفه من بقايا حيوانات بائدة طمرتها الثلوج في العصور الجليدية المتعاقبة كالماموث، وما نراه من بواقي قواقع وأسماك وأحافير بحرية في اليابسة التي نعيش اليوم عليها، كانت مغمورة تحت سطح البحر قبل بروزها إلى اليابسة. وما وجود البترول، الذي هو بقايا أحياء، في صحارى العالم اليوم، إلا دليل حيّ على ذلك.

أصاب الجفاف جزيرة العرب إذن في أواخر العصر الجليدي الأخير، فذوى لذلك زرعها، وجف ضرعها، فهب سكانها لذلك يطلبون حياتهم في أنهار الشمال وسهوله. والآثار التي بين أيدينا تدل دلالة قاطعة على أن هجرات منتظمة متلاحقة قد خرجت من جزيرة العرب، منذ الألف الثالث قبل الميلاد وما سبقه من قرون، منهم من استقر في وادي الرافدين بالعراق، ومنهم من استقر في بلاد الشام، ومنهم من عبر سيناء إلى وادي النيل، ومنهم من كان يطوح به التطواف فيطل على شاطىء بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) من بلاد المغرب الأقصى. وهناك رأي راجح اليوم يميل إلى القول بأن البربر ليسوا إلا بواقي من هذه الموجات القديمة، وأن تسميتهم بهذا الاسم ليست إلا تسمية رومانية متأخرة، أطلقتها روما على كل من كان يسكن الشمال الأفريقي، تمييزا للرومان، وتحقيراً لغيرهم.

ومما لا شك فيه أنه قد سبق هذه الهجرات هجرات أقدم منها، بدأت مع بداية الجفاف. والمستقبل كفيل بإثبات ذلك بعدما ننفض التراب عن آثارنا التي ما يزال معظمها مطمورا تحت التراب، وعندها نثبت بالدليل المادي القاطع أن جزيرتنا العربية كانت مهدا لحضارات بائدة، تكلمت عنها الأخبار، قبل أن تتكلم عنها الآثار. وهناك ما يدل على أن البحرين كانت مأهولة بشعب متحضر قبل خمسين ألف سنة[11].

والآثار التي بين أيدينا تنطق بلسان فصيح، فتؤكد على أن الأكاديين والكنعانيين قد هاجروا من جنوب جزيرة العرب، وارتحلوا شمالاً مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد. وهناك من يرجح بأنهم قد هاجروا قبل هذا التاريخ.. فاستقر الأكاديون في العراق، وبهم بزغت حضارة ما بين النهرين، أو استمرت. واستقر الكنعانيون والفنيقيون - والفنيقيون فرع من الكنعانيين - في بلاد الشام. وبهم بزغت حضارة بلاد الشام، أو استمرت وهناك من يعتقد أيضاً بأن فرعاً ثالثاً، في الفترة الزمنية نفسها. قد استقر في مصر، فحمل إلى وادي النيل ما حمله الأكاديون إلى العراق، وما حمله الكنعانيون إلى بلاد الشام.. يرجح هذا الاعتقاد ظهور ثلاث حضارات، ذات مستوى واحد. ومعطيات متشابهة قد تزامنت في الهلال الخصيب. ووادي

(١١) المصدر السابق. ص١١٤

النيل في آن واحد تقريباً. ويذهب بعض المؤرخين لأبعد من ذلك فيقولون بأنه قد سبق هذه الهجرات إلى وادي النيل هجرات أقدم منها، حملت إلى مصر، في الألف الرابع قبل الميلاد وما سبقه، فن التحنيط والكتابة وصناعة المعادن والديانة الوثنية والنظم الاجتماعية والسياسية.. ويميل هؤلاء إلى القول بأن المصريين القدماء ليسوا إلا ساميين انفصلوا عن الساميين قبل غيرهم[١٢] وعلى كل، فإن الرأي الغالب اليوم هو أن الساميين قد نزحوا من جزيرة العرب إلى شبه جزيرة سيناء، منذ أقدم الأزمنة، وأن المصريين القدماء كانوا يسمونهم أحياناً رعاة آسيا، وأحياناً كانوا يسمونهم ساشو. أي البدو، وأن هذه التسمية قد انتقلت إلى اليونان. فأخذوا يسمونهم الهكسوس، أي الرعاة[١٣] ومن سيناء غزا الهكسوس بلاد الشام ومصر. ويرجح بأن كلمة سيناء مأخوذة من اسم إله القمر السامي «سين».

وتلاحقت الموجات بعد ذلك، من جزيرة العرب إلى الهلال والوادي والشمال الأفريقي، بشكل دوري منتظم، موجة كل أربعة أو خمسة قرون.. فكان الكلدانيون والآشوريون والبابليون من نصيب العراق. وكان العموريون والآراميون والأنباط من نصيب بلاد الشام. ولم تبخل

---

(١٢) المصدر السابق. ص٧٢

(١٣) المصدر السابق. ص٧٣

الجزيرة العربية على وادي النيل والشمال الأفريقي، فكانت الهجرات مستمرة، وقوافل التجارة لا تنقطع، والغزوات متبادلة.. منطقة طبيعية وحضارية واحدة، كانت وما تزال وستبقى وحدة واحـدة، مهما قـال المتقـولـون، وأرجـف المرجفون!

عرفت هذه الموجات المهاجرة باسم الموجات السامية، نسبة إلى سام بن نوح. وهذه التسمية حديثة جداً، لم تذكرها الكتب القديمة والآثار القديمة إطلاقاً، ما عدا التوراة. وأول من أطلق هذه التسمية على تلك الشعوب مستشرق نمساوي يدعى شلوتسر، عام ١٧٨١ م. وهو في سبيل دراسة لغات تلك الشعوب، وإن شئت فقل لهجاتها لأن أصولها واحدة، هي لغة العرب الأم في الجزيرة العربية(١٤). وتلقفت الدوائر الاستعماريـة واليهـوديـة هـذه التسمية، وأسقطت عليها ما شاء لها الإسقاط من مصالحها ومخططاتها وحقـدهـا أيضـاً، ونسجـت حـولها خـرافـات وأضاليل، حورتها وطورتها بشكل بدا مقبولاً للجهلاء والسذج.

ولنقف وقفة قصيرة هنا لنناقش هذه المزاعم الباطلة بمنطق الحقيقة والواقع، لا بمنطق الحقد والأنانية..

أولاً: لم يذكر التاريخ قديمه وحديثه، ولم تخبرنا الآثار

---

(١٤) المصدر السابق، ص١٢٨

والحفريات أن نوحاً كان له أولاد غير ولد واحد، هو الذي ذكره القرآن باسم «ابن نوح»، كان قد أغرقه الطوفان فيمن أغرق من الهالكين. أما سام وحام ويافث وأرفكشاذ فلم يرد ذكرهم إلا في التوراة التي بين أيدي اليهود، والتوراة التي بين أيدي اليهود كتاب خالطه الكذب والزيف، من وضع أحبار اليهود وكهنتهم، في عصور متأخرة، لا تصلح لأن تكون سنداً تاريخياً، وبخاصة لعصور سبقت وضعها بآلاف السنين.

ثانيا: ومن المؤكد أن الشعوب التي أطلقوا عليها اسم «الشعوب السامية» قد خرجت جميعها من موطنها الأصلي، جزيرة العرب. ومن جزيرة العرب انتشرت تلك الشعوب في الهلال والوادي والشمال الأفريقي. فكيف يمكن أن تنسب إلى إنسان لا وجود تاريخي له، ولا تنسب إلى أصلها العربي؟!

ثالثا: ومن المؤكد أيضاً أن طوفان نوح قد حدث في منطقة محدودة في شمال العراق، تلك المنطقة المجاورة لجبال أرارات الكردية. فهل يعقل أن يكون سكان ما يسمى الآن بالشرق الأدنى، بل وسكان العالم كله، كما تزعم التوراة، هم من نسل ابناء نوح الأربعة المزعومين؟

أين نسل من كان في السفينة من قوم نوح؟

وأين نسل من لم يصبهم الطوفان من غير قوم نوح، من

سكان الشرق والغرب، وفي جملتهم سكان الامريكيتين واستراليا؟

القرآن حين تحدث عن أصل ابراهيم قال: «ذرية من حملنا مع نوح».. وواضح من الآية الكريمة أن ابراهيم كان من نسل من كان مع نوح، وليس من نسل نوح نفسه.

نظرية سام والساميين إذن نظرية عرقية متهافتة، نادى بها حزقيال وعزرا في توراة اليهود قبل أن ينادي بها شلوتسر ومن جاء بعده من المستشرقين وبعض تلاميذهم المخدوعين، وقبل ان ينسج الاستعمار والصهيونية عليها خيوط العنكبوت، ليصطادوا بها الذباب المتساقط عليها. وهذه النظرية، علاوة عن أنها تناقض الحقيقة والواقع، فإنها تناقض كذلك علمي الاجتماع والأجناس. فهذان العلمان، وبعض كبار علمائهما من اليهود كدركهايم مثلاً، يقرران بأن الأمم كالأنهار، نعرف مصابها، ولا نعرف منابعها.. فهجرة الناس من أوطانهم إلى مواطن أخرى للتجارة، والسياحة، والحروب، وطلب الرزق.. وامتزاجهم ببعضهم في السلم والحرب، لا يدع مجالاً لعرق بأن يدعي نقاءً، ولا لجنس بأن يفخر على جنس.. اللهم إلا إذا استثنينا القبائل البدوية والجماعات البدائية التي لم تمتزج بغيرها.

ما قصة سام وحام ويافث وأرفكشاذ هذه إذن؟

وماذا أراد اليهود بذلك قديماً، وماذا يريد الصهاينة

والمستعمرون بها حديثاً؟

نسج مؤلفو التوراة حول سام وحام قصة طويلة ملفقة، مؤداها أن حاماً - وهو أبو كنعان، جد الكنعانيين، كما تزعم التوراة - رأى أباه في خيمته سكران يرقص عارياً، فأخبر إخوته بذلك، فاستطاع سام - جد بني اسرائيل، كما تزعم التوراة أيضاً - بلباقته وذكائه أن يغطي غباوة أخيه وسواة أبيه. ولهذا، فإن نوحاً حين أفاق من سكرته وعلم بالأمر، دعا على حام بأن «يصبح عبدالعبيد لإخوته»، وأن تصبح ذريته من بعده عبيداً لذراريهم. وبناءً على ذلك فأبناء حام، أي الكنعانيون العرب، أنذال أغبياء ملعونون، وأبناء سام أي بنو اسرائيل، كرماء أذكياء بعيدون عن اللعنة. «وما جنس الكنعانيين الملعون، بحسب ما جاء في سفر أشعيا والقضاة، إلا ذلك الجنس الذي كنا نتطلع اليه عبر القرون، من بلاد اليونان، باعتباره أب الكتابة والتجارة والحضارة»[١٥].

هذا دس رخيص، كما ترى، ومزاعم تتناقض مع الحقيقة والواقع. ولقد تلقف الصهاينة والمخادعون والمخدوعون بهذه النظرية هذه النظرية، فنادوا بما نادى به آباؤهم واجدادهم في توراتهم من قبلهم، فزعموا بأن فلسطين ملك إلهي خالص لهم، وأن عرب فلسطين، أبناء

---

(١٥) فلسطين اليكم الحقيقة، حفرير، ص٤٦

الكنعانيين، عبيد خلص لسيادتهم..! فحام ابو كنعان ملعون، والله قد وعد أباهم ابراهيم، كما وعد اسحق ويعقوب ومن جاء بعدهم من الأنبياء بأن الأرض والمال لأبناء سام الشرفاء الأخيار، وليس لأبناء حام الأنذال الأشرار إلا الخزي والعار. وزادوا على ذلك، في ديار الغرب، دعوى اللاسامية، حيث يضطهدون هناك ويعذبون، ليشركوا في جرائمهم وموبقاتهم شعوباً أخرى كالعرب مثلاً، محاولين أن يخفوا بذلك وجوههم الشائهة، وهويتهم الحقيقية في «غابة السامية» وكأنهم ليسوا المعنيين بهذه التسمية، او كأنهم بعض المعنيين بها!

أما المستعمرون، ويشاركهم في ذلك حلفاؤهم الصهاينة، فقد حاولوا أن يطعنوا العرب بمثل هذه التسمية.. يطعنوهم في تاريخهم ووجودهم والثقة بأنفسهم.. فزعموا أن العرب ليسوا إلا إحدى القبائل السامية العديدة، الذين لا حظ لهم من حضارة ولا مدنية، لأنهم حين خرجوا بالإسلام، في القرن السادس الميلادي، لم يكونوا إلا بدواً رحلاً، لا يملكون سوى سيف وكتاب، وأن ما خلفوه بعد ذلك من حضارة ومدنية، على مدى ثمانية قرون، ليس إلا ترجمة واقتباساً ونقلاً من حضارات من سبقهم من الأمم والشعوب الحضارية، وبخاصة اليونان والرومان..

فليس للعرب، والحال كذلك، من فضل إلا فضل

الترجمة والحفظ والنقل. وبناء على ذلك، فإن الحضارات التي بزغت مع بزوغ الألف الثالث قبل الميلاد، بهجرات ما يسمى بالقبائل السامية، من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب ووادي النيل، إنما هي حضارات سامية، لا علاقة للعرب بها، لأن العرب جاءوا متأخرين، وليست هناك من صلة تربطهم بالشعوب السامية سوى صلة الموطن. هذا من جهة، وأما من جهة أخرى فإن العرب، سكان فلسطين الحاليين، لا علاقة لهم بالكنعانيين، سكانها القدامى، لأن الكنعانيين ساميون وليسوا عرباً. وهكذا، ففلسطين اليوم هي ملك خالص لبني اسرائيل، ورثها يهود اليوم عن اجدادهم يهود الأمس، بموجب مرسوم إلهي، وحق مقدس.

وهكذا فقد اغتصب فلسطين العرب المسلمون بالغزو الإسلامي، على حد زعمهم، ولهذا وجب أن تعود لورثة بني اسرائيل، بالتحرير الصهيوني، ويعود العرب إلى جزيرتهم من حيث جاءوا.

ونحن بدورنا نرد على هذا التهافت الحاقد الزائف بما يلي: -

اولاً: مادام سكان الجزيرة العربية والهلال الخصيب الحاليون عرباً.. ومادام سكان الجزيرة العربية والهلال الخصيب كانوا يسمون في الجاهلية وما قبل ميلاد المسيح بعشرة

قرون على الأقل عرباً[١٦] .. فكيف يجوز أن يسمى الأبناء بغير اسم الآباء؟ فإذا كنا نستكثر عليهم مثل هذه التسمية، فلنقل إذن: أجداد العرب الحاليين، أو آباء هؤلاء الأبناء. كيف يستقيم القول بأن الأكاديين، والآشوريين، والكلدانيين، والبابليين، والكنعانيين، والفنيقيين، والعموريين، والآراميين، والأنباط، وغيرهم وغيرهم.. قد هاجروا من جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب، وأنهم ليسوا آباء هؤلاء الأبناء الذين يعمرون حالياً الجزيرة العربية والهلال الخصيب، وأن أبناءهم الحاليين ليسوا منهم؟ هل عقم الآباء فلم ينسلوا، أم عق الأبناء فاتخذوا لهم آباء غير آبائهم؟

«إن عرب اليوم في فلسطين لا يمثلون مجرد جنس فاتح، ولكنهم سلائل تلك الشعوب التي عاشت فيها قبل الاسرائيليين بقرون»[١٧].

ثانياً: والتوراة أصلاً ذكرت فلسطين اكثر من سبعين مرة باسم «أرض كنعان». وسفر أشعيا ذكر القدس باسم «عربئيل». فكيف يمكن أن تكون أرض كنعان لغير أبناء كنعان، كما ذكرت التوراة، وكيف يمكن أن تكون عربئيل

(١٦) اسم عرب ورد في الكتابات البابلية والآشورية، كما ورد في الرسائل المتبادلة بين فراعنة مصر وحكام بلاد الشام، في الألف الأول قبل الميلاد، كما ظهر ذلك جلياً في الآثار المكتشفة في أوغاريت، ومملكة ابلا، وفي تل العمارنة. وكان اليونان والرومان يطلقون هذا الاسم على سكان جزيرة العرب منذ الألف الأول قبل الميلاد.

(١٧) فلسطين اليكم الحقيقة جفرير، ص٣٥

لغير العرب؟!

ثالثاً: ومعروف أن ابراهيم الخليل الذي يزعم اليهود أنهم من سلالته حين قدم إلى فلسطين كانت فلسطين، وكل ما يسمى الآن بالمنطقة العربية مأهولة بشعوب حضارية. فإذا كان اليهود يبدأون تاريخهم ببني اسرائيل بن اسحق بن ابراهيم، فبمن يبدأ عرب فلسطين تاريخهم.. أليس بالكنعانيين، سكان أرض كنعان، وبعربئيل عاصمتهم؟

ولهذا فنحن نؤكد أن كل الشعوب التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب ووادي النيل والشمال الإفريقي، منذ أقدم الأزمنة، إنما هي شعوب عربية، وأن العرب الحاليين هم أبناء أولئك الأجداد. ونؤكد أيضاً أن كل الحضارات والمدنيات التي انشأتها إنما هي حضارات ومدنيات عربية، إن اختلفت فروعها في مهاجرها اختلافات جزئية، فإن أصولها في موطنها الأصلي كانت واحدة. وليس صحيحاً أن العروبة قد بدأت في المنطقة العربية بظهور الإسلام، لا غضاً من قدر الإسلام وأثره، وإنما إقرارا بالحقيقة والواقع.. فالإسلام كان آخر هذا المد العربي وأعظمه، ثبت عروبة المنطقة العربية، من المحيط إلى الخليج، ولم يعربها كما يزعمون، لأنها كانت عربية أصلاً.. فخالد بن الوليد خاطب اهل حمص بقوله: «أنتم عرب مثلنا، وليس من رأينا حربكم مع الروم».. وأهل

ليبيا استنجدوا بعمرو بن العاص بصفته عربياً وبصفتهم عربياً[١٨]. أما الفرس في العراق، وأما الروم في بلاد الشام ومصر والشمال الإفريقي، فلم يكونوا سوى غزاة محتلين، دخلاء على المنطقة، فجاء العرب المسلمون، وحرروا البلاد العربية من حكم الفرس والرومان الجائر.

لقد امتد العرب بالإسلام فتخطوا جبال «البرينه» بجنوب فرنسا، واجتازوا ما وراء نهري سيحون وجيحون. فضموا إليهم عديداً من أمم الأرض وشعوبها، ولكنهم عندما عادوا وانحسر ظلهم عنها بإدالة دولتهم، بقيت المنطقة العربية الأصلية عربية الوجه واليد واللسان، وعادت الشعوب غير العربية إلى أصولها الأولى التي كانت عليها قبل قدوم العرب إليهم.. فعاد الهندي هندياً، والتركي تركيا، والفارسي فارسياً، والكردي كردياً، والإسباني اسبانياً.. عادوا إلى لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي كانوا عليها، بينما ظلت الجزيرة العربية والهلال الخصيب ووادي النيل والشمال الافريقي عربية لان سكانها كانوا في الأصل عرباً، وإلا لكانوا قد عادوا إلى أصولهم، كما عاد غيرهم إلى أصله.

«إن الشعب العربي في فلسطين اليوم ليس سليل أولئك القادمين الجدد الذين جاءوا مع الفتح العربي الإسلامي. إن أغلبية السكان هم من جنس مختلط ترجع صلته بالأصل بعيداً جداً. إن هناك نزعة تزعم بأن مسلمي جميع الأقطار

(١٨) حقيقة الماسونية، د. محمد علي الزعبي، ص١١٤

المفتوحة إنما جاءوا من الخارج، واغتصبوا السلطة، أما الحقيقة فإن هؤلاء لم يكونوا سوى قلة قليلة بالنسبة للسكان التاريخيين المتصلين في الوجود.. لذلك فإن عرب فلسطين اليوم هم الشعب التاريخي للأرض، لأن البلاد بلادهم منذ القدم» .[١٩]

ومع هذا، فنحن لا نقلل بذلك من قيمة الإسلام في حياة العرب والمسلمين بصورة خاصة، وفي حياة وحضارة العالم بصورة عامة، وإنما نقرر حقيقة، يأبى الإسلام، دين الحق والحقيقة، إلا اتباعها. فالإسلام ثبت عروبة المنطقة العربية، ونشر اللغة العربية في أقطار وآفاق لم تكن لتبلغها بغيره. وأزال عن العرب والعالم أجمع حكم الطواغيت. كما أنه وحد هذا النثار العربي في وحدة عقائدية وسياسية، لأول مرة في تاريخ العرب، فأعطى العرب بذلك بعدهم الحضاري الإنساني الذين عرفوا ومايزالون يعرفون به. ولذلك فحق على كل عربي، بغض النظر عن دينه أو مذهبه، أن يفخر بالاسلام والمسلمين.. لأن النبي عربي، والقرآن عربي، والحضارة العربية التي نفخر اليوم بها إنما هي بالدرجة الأولى من بركات الإسلام والمسلمين.. وأن العرب هم المؤهلون اليوم، كما كانوا مؤهلين في الماضي، للنهوض بالعرب والمسلمين حضارياً واجتماعياً، بلا انكار ولا تفاخر.. «فإذا ذل العرب ذل الإسلام» .

(١٩) تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص١٥٧. نقلاً عن المؤرخ الأمريكي تشارلز متيوز.

لقد كانت الجزيرة العربية، منذ الألف الثالث قبل الميلاد على الأقل، أُمّاً، وكان الهلال الخصيب ووادي النيل قابلة وحاضنة ومربية.. في الجزيرة كان الحمْلُ، وفي الهلال والوادي كان الميلاد والحضانة والتربية.

أما الزعم بأن العرب ليسوا أمة حضارية، وأن جذور حضارتهم تعود في الأصل إلى أصول يونانية ورومانية، بالترجمة والنقل، فقول مردود جملة وتفصيلاً.. فالحضارات التي نشأت في المنطقة العربية، منذ القدم، إنما هي حضارات عربية. وما الترجمة عن اليونان والرومان والهنود والفرس وغيرهم سوى استرداد حق لاحق لدين سابق. فالحضارة اليونانية التي هي نبت الحضارة الهلينية، وأم الحضارة الرومانية، نشأت في جزر بحر ايجه، في القرن العاشر قبل الميلاد، آخذة جذورها الأصلية من أصول سورية ومصرية، عن طريق الاحتكاك التجاري. وإلا فليخبرنا هؤلاء بأي حرف هم الآن يكتبون، وبأي رقم يحسبون؟ لقد نقل الفنيقيون الحروف والأرقام وبذور حضارتهم، مع بضائعهم بالتجارة البحرية، إلى جميع بلدان البحر الأبيض المتوسط، وامتدوا بها حتى اشرفوا على شمال فرنسا وجنوب انجلترا. كما حمل الآراميون هذه الحروف والأرقام وبذور حضارتهم شرقاً، بالتجارة البرية، إلى جميع بلدان الشرق، وامتدوا بها حتى أشرفوا على الهند والصين.. فحضارتنا العربية هي ولا فخر، أم بل جدة كل هذه

الحضارات التي يزعمون أننا استقينا أصول حضارتنا منها.. وهذا هو التاريخ الصحيح، لا المزيف، حكم بيننا وبينهم.

لقد استخدمنا كلمة ساميين، وسوف نستخدمها أحيانا فيما بقي لنا من أبحاث، لا كما استخدمها ويستخدمها الصهاينة والمستعمرون والمستشرقون وأنصارهم، لتدل على غير معناها الحقيقي، وإنما تمشياً مع هذه التسمية، التي أصبحت شائعة في المحافل العلمية والسياسية، والتي لا مناص لنا إلا مخاطبتهم بلسانها وبمنطقها، محتفظين لأنفسنا بالمعنى الحقيقي الذي تدل عليه مثل هذه التسمية. سنستخدم السامية بدلاً من العروبة، والساميين بدلاً من العرب، حين نضطر إلى ذلك، وبخاصة حين نقتطف من أقوال أولئك اقوالاً، مما يكتبون وينشرون.. ولا حرج علينا في ذلك، طالما أننا قد عرفنا أنفسنا وعرفنا زيف التسمية وضلالها.. وهل نحن إلا عرب؟!

ومن المفارقات الغريبة أن هؤلاء حين يعدون الشعوب السامية يضعون العرب والكنعانيين على رأسها، مع أن التوراة تذكر بأنهم اولاد كنعان بن حام وليسوا باولاد سام. فهل الكنعانيون من نسل سام أم من نسل حام أبي كنعان؟

غريب أمر هؤلاء..!

و الأغرب منهم هذه التوراة الزائفة..!

٦ ـ من تاريخ الساميين:

قلنا إننا سنستخدم كلمة السامية مكان كلمة العروبة، وكلمة الساميين مكان كلمة العرب أحياناً تمشياً مع التسمية الدارجة، وليس إقراراً بزيف تاريخي مصطنع. وأول ما يبرز أمامنا الكنعانيون، أولئك الذين صب عليهم اليهود جام غضبهم، لا لسبب إلا ليشوهوا بذلك سمعتهم وتاريخهم في أعين من لا يرى الحقيقة، تمهيداً للزعم بأن فلسطين ليست ملكاً لأصحابها الكنعانيين الشرعيين، وإنما هي ملك خالص لأبناء يهوذا، الذين حلوا في كنفهم عابرين، في وقت متأخر، بعد أن أقام الكنعانيون في فلسطين ما أقاموا، قبل مجيء العبرانيين إليها بقرون.. فالكنعانيون، كما هو معروف، هم من أقدم الشعوب التي التي رحلت من جزيرة العرب إلى بلاد الشام، إن لم تكن أقدمها. والراجح أن لهجتهم في الأصل كانت أقرب اللهجات إلى أم اللهجات السامية، وإن شئت فقل العربية القديمة، التي كان يتفاهم بها سكان الجزيرة العربية آنذاك، قبل بدء هجراتهم إلى الهلال الخصيب، وقبل أن تفترق بهم السبل عن أمهم الأصلية، فتتعدد بذلك لهجاتهم، ولا نقول لغاتهم، بتعدد مواطنهم الجديدة. ويجب ألا يغرب عن بالنا بأن

الفنيقيين هم فرع من الكنعانيين، انفصلوا عنهم في موطنهم الجديد فسكنوا الجبال، بينما كنع الكنعانيون في السهول.. وما كانت تسميتهم بهذا الاسم لتبعدهم عن اشقائهم الكنعانيين، فالأصل واحد، والأرومة واحدة.

الكنعانيون إذن سكان السهول، والفنيقيون إذن سكان الجبال. ولقد سمي الفنيقيون بهذا الاسم نسبة إلى صبغ قرمزي، كانوا يصنعونه، ويتجرون به.. والتسمية والكلمة يونانيتان أصلاً. ونحن مازلنا نسمع كلمة كنعان تتردد في قرى فلسطين ومدنها، ومازلنا نسمع كلمة فنيقيا والفنيقيين تتردد في ذرى لبنان ورباها.. فأين اليهود من ذلك؟

كان الكنعانيون، والفنيقيون في جملتهم، على جانب عظيم من المدنية والحضارة.. فهم أول من اكتشف النحاس وصنع البرونز، كما ازدهرت عندهم صناعة الزجاج والنسيج، وصناعة الأصباغ والأسلحة. وبرع الكنعانيون في بناء القلاع والحصون والأنفاق التحتية، لإيصال الماء إليها بطريقة سرية وقت الحصار[20]. وكانت لهم، منذ القدم، مدن مزدهرة عامرة، أشهرها: يبوس أو أورشليم (القدس)، وأريحا، ومجدو، وشكيم (نابلس) وسبسطية (السامرة)، وممرا أو أربع (الخليل)، وغزة، ويافا، وغيرها.. لقد كانت أرض كنعان عامرة بمدنها وقراها

---

(٢٠) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص١٠ ـ ١٣

ومزارعها قبل أن يحضر إليها ابراهيم الخليل بأكثر من ألف عام، وقبل أن يكون لبني اسرائيل اي وجود تاريخي فيها، في زمن داود وسليمان، بأكثر من ألفي عام. ويحدثنا التاريخ بعدم وجود أي مدينة في فلسطين بناها اليهود، أو حتى تحمل اسماً يهودياً.. فأسماء جميع قرى ومدن فلسطين كانت وما تزال كنعانية عربية.

وما محاولة يهود اليوم والأمس نسبة بعضها إليهم إلا من قبيل الإدعاء الزائف، كما أن ذكر التوراة لها لا يعطيها الحق بأن تصبح عبرانية. وحتى أسماء: أورشليم، وصهيون، وحبرون، وشكيم التي تبدو، لأول وهلة، عبرانية، إنما هي أسماء كنعانية عربية قديمة.. فأورشليم بالكنعانية معناها مدينة السلام، وصهيون اسم تل كنعاني في أورشليم، كان معروفاً باسمه الكنعاني هذا قبل مجيء العبرانيين إلى أرض كنعان، وكذلك حبرون، وشكيم، وغزة، وغيرها.

ألم تكن حبرون مدينة مزدهرة قبل مجيء الخليل إليها؟ ألم ينزل في شكيم مدة؟ ألم يستقبله ملكي صادق، كاهن أورشليم الكنعاني وحاكمها، ويكرم مثواه، ويدعو له بالخير؟ لم يستطع العبرانيون آنذاك تغيير هذه الأسماء إلى لغتهم، لأن اللهجة العبرية المأخوذة من الآرامية لم تكن قد نضجت بعد. وبعد قدوم قوم موسى إلى فلسطين، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أخذوا باللغة الكنعانية والثقافة

الكنعانية. وحين انتشرت الآرامية، مع بداية القرن السابع قبل الميلاد، وأصبحت لغة عصر ذلك الزمان، كما هي الإنجليزية اليوم، اقتبسها اليهود كما اقتبسها غيرهم من الأمم. وبالآرامية دوّن اليهود توراتهم[٢١]. وهكذا أخذ اليهود عن غيرهم كل شيء، حتى لغتهم وحروفهم، ولم يسهموا بشيء، سوى السطو على ما ليس منهم ولهم.

إلا أن أعظم عمل قام به الكنعانيون هو اختراع الأبجدية الهجائية والأرقام الحسابية. لقد حمل الفنيقيون هذه الحروف والأرقام بسفنهم حتى وصلوا بها بلاد الغال (فرنسا) وجنوب انجلترا، كما حملها الآراميون بقوافلهم حتى وصلوا بها بلاد السند وما وراء النهر. وهكذا اكتسحت الأبجدية الكنعانية في طريقها المقاطع المسمارية والصور الهيروغليفية، وحلت محلها. ومازالت هذه الأبجدية تزهو على العالم بطيب منشئها وكرم أصلها.. فالعالم اليوم كله، ماعدا اليابانيين والصينيين، الذين مايزالون متمسكين بمقاطعهم القديمة، يكتبون بحروفنا، ويحسبون بأرقامنا.

وكما آثر الكنعانيون أن يكنعوا وأن يستقروا في سهول فلسطين مزارعين، آثر أشقاؤهم الفنيقيون أن يجوبوا البحار من مرافئهم على الساحل اللبناني تجاراً مغامرين.. فمن صور وصيدا، ومن قرطاجنة كانت تنطلق سفنهم، تجوب

---

(٢١) المصدر السابق. ص١٦٠

موانىء البحر الأبيض المتوسط كلها، ومنها ما كان يعبر مضيق جبل طارق إلى موانىء بحر الشمال، لدرجة أن قال قائلهم: «إن روما لا تستطيع أن تغسل يديها، في البحر الأبيض المتوسط، إلا بإذن من قرطاجنة». [٢٢]

وكما استقر الكنعانيون والفنيقيون غرب بلاد الشام، استقر العموريون والآراميون داخلها. وكما كان الفنيقيون تجار البحر غرباً، كان الآراميون تجار البر شرقاً. لقد كان العموريون والآراميون، كإخـوانهم الكنعـانيين والفنيقيين، أهل زراعة وصناعة وتجارة.. بنوا مثلهم القرى والمدن والحصون، واتسعت تجارتهم حتى غطت شرق العالم القديم كله، كما غطت تجارة الفنيقيين غربه كله. لقد كانت الآرامية (السريانية) هي لغة السيد المسيح، وبها كتبت الأناجيل كما كتبت بها التوراة، على الأرجح. لقد زاحمت الآرامية الكنعانية، وحلت محلها، وظلت لغة البلاد السائدة، حتى الفتح الإسلامي، حيث سادت العربية، وحلت محل الآرامية. [٢٣]

لقد أخذ اليهود خطهم الذي كتبوا به التوراة من الخط الآرامي، بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، كما أخذ عرب الشمال خطهم من الخط النبطي، الذي هو شكل من

---

(٢٢) المصدر السابق، ص٥٧

أشكـال الخط الآرامـي. وبهذا الخط كتبـت المصاحـف العثمانية. كما أخذ الأرمن والفرس والهنود خطوطهم من أصول آرامية أيضاً. وهكذا يكون الخط الكنعاني قد انتقل على أيدي الفنيقيين والآراميين في العالم القديم كله. ومايزال السريان والكلدان يكتبون بالخط الآرامي المهذب(٢٤). وكان يهود زاخو، بشمال العراق، يتكلمون بالآرامية، حتى عهد قريب. ومازالت قرى: صيدنايا، ومعلولا، وجبعديـن القريبة من دمشق، تتكلم باللهجة الآرامية.

هذا في بلاد الشام، بوجه عام، أما في العراق فقد أقامت الموجات السامية (العـربيـة) المهـاجـرة حضـارات زاهرة، لا تقل، بحال من الأحوال، عن الحضارات التي انشأها أشقاؤهـم في بلاد الشـام رقيـاً وازدهـاراً.. فقـد زامنت حضارة الأكاديين في العراق حضارة الكنعانيين في بلاد الشام. وزامنت حضارتا الآشوريين والبابليين حضارتي العموريين والآراميين.. لقد كانـت مثـل تلـك الموجـات المهاجرة تخرج من الجزيرة العربية، لسبب أو لآخر، معاً.. فمنها ما كان يقعد به التطواف في العراق، ومنها ما كان يواصل مسيرته، محاذيا الفرات، حتى أعاليه، ثم ينحدر من هناك جنوبا إلى بلاد الشام. ومنها ما كان يتخذ طريقه رأساً عبر الحجاز إلى بلاد الشام، أو إلى سيناء، ومنها إلى

---

(٢٤) المصدر السابق، ص٥٧

مصر والشمال الافريقي، اذا ما ضاقت بها مصر.

لقد أقام الأكاديون في جنوب العراق نظاماً دقيقاً للري.. فبنوا السدود، وشقوا القنوات. والاكاديون هم أول من أنشأ الحكم الامبراطوري في التاريخ، وأول من أنشأ الري الدائم[٢٥].

أما البابليون والكلدانيون فقد قدموا للعالم الحساب والمواقيت التي مايزال العالم، حتى يومنا هذا، مدينا لهم بها.. فهم الذين وضعوا النظام الستيني، وهم الذين قسموا السنة إلى فصول وأشهر وأسابيع وأيام.. لقد كان البابليون والكلدانيون على جانب عظيم من المعرفة بمواقع النجوم والكواكب والأفلاك.. وهم أول من حسب الخسوف والكسوف.

وأما الآشوريون فقد كانوا أول من أنشأ أول جيش منظم مدرب في العالم.. ولذلك فقد كانوا لا يرون إلا متسربلين الدروع متنكبين القسي، معتقلين الرماح، متقلدين السيوف.. ينشرون الموت والرعب أينما حلوا. الآشوريون كانوا أهل حرب وقتال أكثر مما كانوا أهل سلم وبناء، ولذلك يشك بعض المؤرخين في نسبهم إلى تلك الموجات ذات الاصل السامي (العربي).

لسنا هنا بصدد ذكر كل، أو جل، أو حتى بعض ما

(٢٥) المصدر السابق، ص٧١

قدمه أجدادنا ، سكان الجزيرة العربية، والهلال الخصيب، ووادي النيل إلى العالم، من بذور مدنية وحضارية.. وإنما هي إشارات على الطريق، لابد من وضعها، حتى نذكر من له عين ترى، وأذن تسمع، وعقل يفكر، بأن أجدادنا ما قصروا، وما بخلوا في إثراء الحضارة الإنسانية، منذ أن كانت الحضارة الإنسانية طفلاً يحبو. لقد كان للعرب في فلسطين، وفي غير فلسطين من منطقتنا العربية، ومنذ أقدم عصور التاريخ.. كان لهم تاج وصولجان.. كانت لهم مدن وقرى عامرة تضج بآهليها، وكانت لهم مزارع وبساتين تزهو بخضرتها ونضرتها، وكانت لهم صناعات فنية دقيقة، وكان لهم علم وفن وأدب.. كانوا متحضرين متمدنين حين كانت تلك الجماعات البدوية التائهة، تجوب بأغنامها الهزيلة أطراف السهول الممرعة وجلة خائفة، حافية الأقدام، متدثرة بجلود الأغنام والمعيز تبحث عن سائب العشب وغائر الماء، وترضى بعيش التبعية في كنف من يسمح لها بذلك من سكان الهلال الخصيب ووادي النيل، الذين كانوا قد بلغوا شأواً عظيماً في الحضارة والمدنية. «لقد بقي بنو إسرائيل، حتى في عهد ملوكهم، بدويين أفاقين مغيرين سفاكين مولعين بقطعانهم مندفعين في خصام وحشي، فإذا ما بلغ الجهد منهم مبلغه، ركنوا إلى خيال رخيص، تائهة أبصارهم إلى الفضاء، كسالى خاملين من الفكر، كأنعامهم

التي يحرسونها. وإذا أردنا تلخيص مزاج اليهود النفسي في بضع كلمات، كما يستنبط من أسفارهم، وجدناه ظل على الدوام قريباً جداً من حال أشد الشعوب بدائية. فقد كان اليهود عنداً مندفعين، غفلاً سذجاً جفاة كالوحوش والأطفال. وكانوا، مع ذلك، عاطلين، في كل وقت، من الفتنة التي تتجلى فيها سحر صبا الشعوب..»(٢٦)

٧ ـ اللاسامية:

واللاسامية دعوى حديثة، اختلقها اليهود في بلاد الغرب.. في أوروبا وأمريكا بوجه خاص، ليستروا بها عوراتهم وسخائمهم، وليحصلوا بها على امتيازات خاصة، وكذلك ليتخلصوا بها من أعدائهم ومنافسيهم، بزعم أن العداء الذي يظهره الأغيار لليهود، ليس بسبب جرائم اليهود وحقارتهم، وإنما بسبب نقاء جنسهم، واتساع مداركهم، وتفردهم بامتلاك الثروة والمال.. والغريب أن الذي افترى فرية اللاسامية هذه هم يهود من شرق أوروبا، لا يمتون للعبرانيين ولا لبني اسرائيل بصلة، لأنهم من أصول مغولية تترية خزرية.. فهم ليسوا من نسل سام المزعوم، فيزعموا وجود السامية. فلم إذن اخترع اليهود فرية اللاسامية هذه؟ لقد اخترعوها للأسباب الرئيسية التالية:

---

(٢٦) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون.

أولاً: ليتدثروا بها كلما بانت سوءاتهم، وكلما اضطهدوا بذلك وعذبوا. فاليهود يزعمون أنهم إنما يضطهدون ويعذبون في ديار الغرب، حينما يضطهدون ويعذبون، لا بسبب جرائمهم وفسادهم وإفسادهم، وإنما بسب جنسهم وتفوقهم وامتلاكهم الأموال و الثروات.

ثانياً: وهم يشهرون سلاح اللاسامية كلما ارادوا أن يحصلوا على امتيازات خاصة بهم، أو للتخلص من أعدائهم ومنافسيهم. فبهذه الدعوى استطاعوا أن ينصوا على حقوق خاصة بهم في معاهدة فرساي. وبها حصلوا على وعد بلفور، وإقامة دولة اسرائيل. وبها ساقوا مجرمي الحرب النازيين، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، إلى نورنمبورغ، وبها كمموا أفواه الألمان وغير الألمان، وحصلوا على تعويضات ومساعدات مادية هائلة.. وها إنهم اليوم يخرسون كل صوت يرتفع ضدهم في العالم، ويقطعون بها كل أصبع تشير إليهم بالإتهام، وبخاصة بعد قيام دولة اسرائيل، تلك الدولة التي أعطت جميع يهود العالم زخماً كانوا يتحرقون شوقاً إليه.

الربا إذن واستغلال الناس، والغش والاستغلال التجاري، وإشاعة الجريمة والرذيلة من: زنى، وميسر، وتجسس واغتيال، وتآمر.. هي الأسباب الرئيسية في اضطهاد اليهود وملاحقتهم. لقد اخترع اليهود اللاسامية من

نسج خيالهم، لاغراض في نفس يعقوب. الم يقل هيرتزل: «لو لم تكن اللاسامية موجودة، لوجب علينا ايجادها؟» وهيرتزل هذا يعرف تماماً أبعاد قوله هذا.. اليهود اضطهدوا وعذبوا ولوحقوا لأنهم لم يستطيعوا، طيلة تاريخهم الطويل، أن يتهجوا كلمات «التعايش الإنساني الكريم»، ولم يستطيعوا أن يهضموا، حتى الآن، كلمتي: «الحق والعدل». لقد استخدموا سام والسامية صابوناً يغسلون به عرق أبدانهم النتنة، كلما لاحقتهم جرائمهم البشعة.

ومما هو جدير بالذكر أن بقايا العبرانيين وبني اسرائيل بين يهود اليوم ليسوا شيئاً مذكوراً بالنسبة لبقايا الساميين من عرب وكلدان وآشوريين وسريان، وغيرهم، المنتشرين في طول الوطن العربي وعرضه، ومع هذا فإن دعوى السامية حين يطلقونها إنما يقصدون بها كل اليهود، الذين اكثر من ٩٠٪ منهم لا ينتمون لأصول سامية، لا لسبب إلا لأنهم يريدون أن يختفوا في غابة من السامية، فيشركوا غيرهم من الشعوب في جرائمهم، وكأنهم ليسوا المقصودين بالملاحقة والاضطهاد.. وبالمقابل فإن الخير حين يصيبهم يزعمون أنهم هم الساميون، ولا ساميون غيرهم.

ولا بد من أن ننوه، قبل مغادرة هذا الموضوع الحساس، بأن التمييز العنصري، الذي يحمل اليهود لواءه،

ليس موجهاً ضد أعداء اليهود ومنافسيهم فحسب، بل إنه كثيراً ما يمتد ليشمل اليهود أنفسهم[٢٧] .. فسبط يهوذا له الحكم من دون سائر الأسباط.. فمنه انحدر داود وسليمان، ومنه سيكون مسيح اليهود المنتظر وملكهم. وسبط لاوي له الكهانة من دون سائر الأسباط. فمنه انحدر موسى وهارون، ونسله من الحاخامات والأحبار لا يدعون إلى التجنيد العسكري[٢٨] .

واليهود في العالم يهودان: اشكنازيم (سكناج)، وسفارديم. والاشكنازيم هم يهود أوروبا الشرقية، وكانوا قديماً محتقرين، لا يتزوج السفارديم منهم ولا يزوجونهم، أما اليوم فإن الأمر كله قد أصبح بأيديهم، بعد أن أصبحوا بارونات المال والأعمال في أوروبا وأمريكا، وبعد أن أصبح منهم غلاة الصهيونية، وزعماء اسرائيل وحكامها. أما السفارديم فهم يهود آسيا وافريقيا والأندلس، بوجه خاص، وكان الأمر بأيديهم قديماً إلى أن انتزعه منهم الأشكنازيم بالمال والسلطة والجاه. ومع أن السفارديم يشكلون اليوم ٥٥٪ من يهود اسرائيل، إلا أنهم محتقرون ومبعدون عن مراكز الدولة الحساسة، وعن رئاسة التنظيمات الشعبية

---

(٢٧) لدرجة أن اعترض الحاخام الأكبر في حيفا على زواج غاليا، بنت بن غوريون، من أحد ضباط المظلات، لأن أمها مسيحية انجليزية، كان بن غوريون قد تزوجها عندما كان يعمل في خدمة المخابرات البريطانية، إبان الحرب العالمية الأولى.

(٢٨) المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل، محمود نعناعة، ص ٢٤٦ .

والعمالية والحزبية، لدرجة أن أقصى تمثيل وزاري لهم في كل وزارة من وزارات اسرائيل المتعاقبة لا يتخطى وزيرين من وزارات الخدمات العامة غير الحساسة.. هذا فضلا عن تخلفهم اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. والأرقام خير شاهد على ذلك.. فالكنيست اليهودي مكون من ١٢٠ نائباً، لا ينال السفارادیم منه سوى ١٨ نائبا، على أبعد تقدير. والطلاب السفارادیم يشكلون ٦٠٪ من طلاب المدارس الابتدائية، بينما لا يشكلون سوى ٣٨٪ من طلاب المدارس الثانوية و ٥٪ فقط من طلاب المعاهد العليا والجامعة العبرية. أما الزيجات فإن ٨٥٪ منها تتم داخليا، كل من ذكور وإناث المجموعتين يتزوج من مجموعته، ولا يخرج عن هذه القاعدة سوى ١٥٪ من اشكنازيم يتزوجون سفاراديميات، لا العكس.

وكلمة اشكناز بالعبرية الحديثة تعني المانيا، والياء للنسبة، والميم للجمع. ولغة الاشكناز تسمى اليديش، وهي لغة ألمانية الأصل، مطعمة ببعض كلمات عبرية، وتكتب بالأحرف العبرية. وبقيت العبرية إلى جانب اليديش لغة كتابة، وليس لغة تخاطب، بين يهود شرق أوروبا[٢٩]، إلى أن وضع الحاخام بن يهوذا، عام ١٩١١م، بموجب قرار اتخذ في مؤتمر بازل الصهيوني الأول، الذي عقد عام

(٢٩) العرب واليهود في التاريخ، د. احمد سوسة، ص٣٣٧

١٨٩٧م. والذي أوصى، في جملة ما أوصى به، بإحياء اللغة العبرية، كلغة تخاطب، وتلقينها لكل يهود العالم ليتخاطبوا بها.. وضع هذا الحاخام لغة عبرية حديثة، هي لغة يهود اسرائيل اليوم. لقد كان اليهود السفارديم يتكلمون بالإسبانية في أوروبا[٣٠]، حتى هاجروا إلى اسرائيل، وتنازلوا عنها للغة العبرية الحديثة، التي هي مزيج من العبرية واليديش.

والسفارديم اليوم في اسرائيل يتحرقون شوقاً للعودة إلى أوطانهم الأصلية التي قدموا لاسرائيل منها، والتي كانوا معززين مكرمين فيها. لقد وضعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، التي يتناوب على حكمها الاشكنازيم، جميع العراقيل والصعوبات في وجه من يود العودة من هؤلاء إلى مواطنهم التي جاءوا منها. وساعدنا نحن على عدم تشجيعهم للإفلات من قبضة مضطهديهم، برفضنا قبولهم ثانية فيما بيننا، وتهديدهم بالويل والثبور إذا عادوا.. فتركناهم بذلك فريسة سهلة للاشكنازيم، يستخدمونهم جنود حرب وعمال حمل. وفي تقديرنا أن خطة عربية حكيمة، تضعها الجامعة العربية، وتتبناها الدول العربية، تطمئن هؤلاء على مصيرهم فيما لو عادوا إلينا، وتساعدهم على الإفلات من قبضة النازية الجديدة..

---

(٣٠) المصدر السابق، ص٣٣٧

إن خطة عربية حكيمة من هذا النوع كفيلة بإخراج قسم كبير من هؤلاء من خنادقهم، وعودتهم إلينا يساهمون في البناء لا الهدم، فالأخبار تنقل كل يوم عودة بعض اليهود إلى أوروبا، وسفر بعضهم إلى امريكا، هرباً من جحيم صوّرته الصهيونية لهؤلاء جنة عدن. ومع هذا فنحن لا ننكر بأن اليهودية الحاقدة، والصهيونية المخادعة لن تعدم الوسائل التي تستقطب بها كل يوم إلى اسرائيل مهاجرين جدداً. كما أننا لا ننكر، بأن الجيل الذي ولد وتربى في اسرائيل خاصة قد أرضع، مع اللبن، كره العرب والمسلمين، وأن معظم أبنائه مستعدون أن يموتوا في سبيل مجد اسرائيل، والقضاء على العرب كياناً ووجوداً.. إلا أننا مع ذلك لا ننكر بأن الكيان الفسيفسائي الصهيوني، القائم على العنصرية والتمييز العنصري، يغري بمهاجمته من الداخل ايضاً، وذلك باستغلال التناقض الموجود في بنيته المتناقضة، التي لا يجمع شتاتها إلا كره العرب والخوف منهم، بالدرجة الأولى.

ومع هذا فإن ثقلنا الأساسي، في الداخل والخارج، يجب أن يصب، ونحن في مواجهة اسرائيل ومن وراء اسرائيل، في قوتنا الذاتية باستخدام جميع طاقاتنا البشرية والاقتصادية مجتمعة، وفي دخولنا عصر العلم والتكنولوجيا، وخروج هذا الكم العربي الخامل، إلى كيف فاعل.. إلا أن

المعركة الشرسة المعلنة بيننا وبين الكيان الصهيوني المصطنع تقتضي منا أن نلجأ إلى جميع الأسلحة، مهما بدا بعضها ضعيفاً أو بعيدا.

إسرائيل تتبجح اليوم بأنها: منارة الشرق المؤهلة لإحيائه وبعثه، وموئل الديمقراطية في منطقة لم تسمع بالديمقراطية.

اسرائيل هذه، بنت الصهيونية الحاقدة، أحيت وما تزال تحيي كل يوم في منطقتنا العربية النازية العنصرية المتغطرسة، والتمييز العنصري المتعالي.. فهل حقا ما تزعم اسرائيل؟!

٨ ـ الموسويون:

الموسويون أو قوم موسى هم الجماعة الذين خرجوا من مصر هرباً من ظلم فرعون موسى، وكانوا بغالبيتهم من الهكسوس وعبدان المصريين وقلة قليلة من بني اسرائيل، أولئك الذين بقوا في مصر من نسل يعقوب، حين قدم يعقوب وزوجاته وأسباطه عند يوسف في أعوام القحط. وقوم موسى لم يكونوا يزيدون بحال من الأحوال، عندما خرجوا من مصر، على أربعة آلاف، ولذلك عبروا فلسطين من جنوبي سيناء، في مواجهة شرم الشيخ، متجنبين الكثافة السكانية التي ستواجههم في شمالها، عبر العريش وغزة، الطريق الطبيعي بين مصر وفلسطين. لقد نزل موسى بقومه في جبال شرقي الأردن، في مواجهة فلسطين، وفشل في

إقناعهم بدخولها، قائلين له: «إن فيها قوماً جبارين».. «إذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون». ومات موسى وهارون، في ظروف غامضة، دون أن يتمكنا من دخولها. ودخلها بعدهما يوشع بن نون، قائد جيش موسى، من جهة اريحا، بحيلة ساعدتهم فيها راحاب، الجاسوسة الكنعانية المشهورة، التي تمجدها التوراة كلما ذكر اسمها.

الفصل الثاني
منابع الفكر اليهودي

١ ـ مقدمة

٢ ـ التوراة

٣ ـ التلمود

١ ـ مقدمة:

للفكر اليهودي منبعان رئيسيان هما: التوراة، والتلمود، والعديد العديد من روافد خرجت منهما، أو تأثرت بهما مثل: بروتوكولات حكماء صهيون، وكتاب الدولة اليهودية لهيرتزل، وكتاب الأمير لميكافيلي، وغيرها.. فمعظم كتاب اليهود والمتهودين، القدامى منهم والمحدثين، فيما عدا من كتب منهم في العلوم البحتة، قد تأثروا بالتوراة والتلمود تأثراً عظيماً، لأنهم يربون عليهما صغاراً. وقلما تجد كاتباً يهودياً أو متهوداً لا يضع التوراة والتلمود نصب عينيه عندما يكتب.. فهما المنبع والمصب لكل يهودي أو متهود.

٢ ـ التوراة:

التوراة لفظة مأخوذة من تورة، ومعناها الهدي أو الارشاد[١]. والتوراة الحقيقية هي الصحف التي أنزلت على موسى، وقد ضاعت في ثنايا التوراة المحرفة التي بين أيدي اليهود، أما ما جاء قبل صحف موسى وما جاء بعدها من رسالات الأنبياء والرسل، فإنها ليستْ من التوراة في شيء. فهل التوراة التي بين أيدي اليهود هي صحف موسى.. وهل هي صوت السماء إلى الأرض؟

---

(١) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ١٤٨

إن من يطلع على التوراة التي بين أيدي اليهود، يجدها جامعاً لكل ما زعم اليهود أنه أنزل على جميع الأنبياء والرسل، منذ آدم حتى ظهور المسيح. ويفجع دارس التوراة، للوهلة الأولى، بما يرى فيها من سخافات وأخيلة ومخازٍ وخرافات.. يفجع وهو يراها تتكلم عن الله وكأنها تتكلم عن شخص عادي.. يخطىء ويصيب، يحب ويكره، يرضى ويغضب، يأكل ويشرب وينام ويمشي في الأسواق..[٢] يفجع وهو يراها تتكلم عن الأنبياء وكأنها تتكلم عن مجرمين سفاحين، وزناة قوادين.. يشربون الخمر، ويعبدون الأصنام، ويحيكون الدسائس والمؤآمرات.. يفجع وهو يراها تتطاول على الشعوب، وتطالب بالانتقام منهم، بينما تزهو بشعب الله المختار.. يفجع وهو يراها تزيف التاريخ، فتقلب الحقائق أو تزورها، وتتغاضى عن أبسط قواعد العقل والمنطق..

لقد بدىء بتدوين التوراة، بصورة متصلة جادة، في الأسر البابلي، في القرن السادس قبل الميلاد، وما بعده،

---

(٢) صور مدونو التوراة الههم يهوه إلها متعطشاً للدماء.. لقد ذبح له سليمان ٢٢ ألف ثور، و ١٢٠ ألف خروف، خلال أسبوع واحد، فلم يرتو، وإنما طالب بالمزيد المزيد. ويهوه هذا لا يكتفي بالقرابين الحيوانية، بل لابد له من قرابين بشرية.. ولهذا طلب من شعبه أن يبيدوا جميع سكان البلاد التي يحتلونها، كما طلب منهم أن يقدموا له دماء الأطفال في عيد الفصح (عيد كيبور)، ودماء الشباب في عيد البوريم (عيد أستير) «رنموا، رنموا للرب الساكن في صهيون.. إنه يطالب بالدماء». الإصحاح ٩، سفر المزامير

(٣) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص١٨٠

حين كان اليهود يعيشون عيشة أسر ونفي وذل، فأراد أحبارهم وحاخاماتهم بذلك إذكاء روح المقاومة والحمية فيهم، وبعث الأمل بالخلاص والعودة في نفوسهم، فخلعوا عليهم من الصفات ما ليس فيهم، ووعدوهم بما ليس لهم، وصبوا جام غضبهم على أعدائهم، واستمطروا اللعنات على مضطهديهم ومبغضيهم.. وهكـذا كتبـت التـوراة بـأقلام حاقدة، وحبر مسموم، وصدور تغلي بالكراهية والحقد.. فبعدوا بذلك كثيراً عن جادة الصواب وحلت رقاعات الأحبار محل رسالات الأنبياء. وهكذا كان..

عندما بدأ أحبار اليهود يدونون التوراة، كانوا أمام ثلاثة حوافز نفسية: الحافز الأول أنهم كانوا في الأسر، جماعة مضطهدة محتقرة معزولة، بحاجة إلى تعبئة روحية عالية، تمسح عن جباههم ذل العبودية، وترفعهم إلى مصاف الشعوب الحضارية. والحافز الثاني إرجاع انتمائهم إلى شخصية محترمة في المنطقة، هي شخصية ابراهيم الخليل، يغطون بها سخائمهم وسخافاتهم، مع أن ابراهيم الخليل سليل إحدى القبائل الآرامية العربية[٤]، ولا علاقة له بأخلاط هؤلاء الخبيرو.. فهو هو جد بني اسرائيل، وليس جد كل هذه الأخلاط من الخبيرو وغيرهم ممن تمسحوا بنبله وأصالته. أما الحافز الثالـث فهـو إعطـاء أنفسهـم صفـة الشجـاعـة

---

(٤) المصدر السابق ص ١٥٥

والرجولة بانتمائهم إلى موسى، مع أن قوم موسى كانوا أخلاطاً من بقايا بني اسرائيل، الذين قدم بهم يعقوب عند أخيهم يوسف، ومن الهكسوس والمصريين الذين فروا مع موسى أيضاً هرباً من ظلم فرعون واضطهاده، ناجين بكرامتهم وأرواحهم[٥]. كل ذلك ليحقق كتبة التوراة لليهود: قوة الإله والنبوة، ورفعة الأصل والجاه، والعودة إلى أرض الميعاد.. وهكذا اتخذوا من يهوه إلهاً، ومن ابراهيم أباً، ومن موسى قائداً وزعيماً

ومن المرجح أن القرن التاسع قبل الميلاد هو القرن الذي شهد أول مراحل تدوين التوراة. والحقبة الزمنية بين هذا القرن وبين ظهور موسى لا تقل عن أربعة قرون. وهذه الفترة لم تشهد توفر الرواية الشفوية الدقيقة لنصوص شريعة موسى، لأن اليهود كانوا قد أهملوا هذه الشريعة بعد موته، وعادوا إلى عبادة الأوثان، تشبهاً بالشعوب التي عاشوا بينها، وخوفاً منهم ومداجاة. فإذا كان هذا هو الحال بين بدء عصر التدوين وعصر موسى، فإن الحال كان أسوأ بين هذا العصر والعصور التي سبقته أو تلته.. بين عصر السبي البابلي وعصر ابراهيم، ذاك العصر الذي امتد أربعة عشر قرناً، كان فيها العبرانيون ضئيلاً حظهم من معطيات الحضارة، ولا سيما القراءة والكتابة، التي بها

(٥) المصدر السابق، ص٢٣٥

يحفظون أخبار ورسالات أنبيائهم ورسلهم[٦]. ولهذا فإن مدوني التوراة، الذين جاءوا متأخرين عن عصور كتبوا عنها ولم يعايشوها، خلطوا بين المعتقدات الدينية والأدب الديني، وشوهوا سيرة الأنبياء ورسالاتهم، وسلبوا أحسن ما أنتجته قرائح المفكرين القدامى من الشعوب التي عايشوها وعاشوا بينها، ونسبوه لأنفسهم، لدرجة أن معظم الباحثين اليوم مجمعون ـ وبخاصة بعد أن كشفت عدة آثار تؤيد ما ذهبو اليه ـ على أن التوراة التي بين أيدي اليهود مقتبسة معظم أصولها من أصول قديمة: بابلية وكنعانية بالدرجة الأولى[٧]، لأن اليهود، منذ أن بدأوا بتدوينها بصورة جادة متصلة في السبي البابلي، في القرن السادس قبل الميلاد، إلى أن انتهوا من تدوينها في فلسطين، في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، كانوا يتسكعون على موائد البابليين والكنعانيين الحضارية، ويقلدونهم في كل شيء، حتى في عبادة الأصنام. وهكذا فإن التوراة التي بين أيدي اليهود ليست صحف ابراهيم وموسى، وليس ما نزل على أنبياء بني اسرائيل من رسالات سماوية، وإنما جلها اقتباس ووضع وتزييف..

فلم إذن نعتبرها كتاباً سماوياً، ونعتبر أتباعها كتابيين؟

لا شك أن بين ثنايا التوراة بعض ما جاء على لسان ابراهيم وموسى وسائر أنبياء بني اسرائيل، نلمح روحه في

(٦) المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل، محمود نعناعة، ص١١

(٧) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص١٥٨

هذا الخضم الهائل من الوضع والتزييف، ولا نستطيع أن نشير إليه بأصابعنا عارفين. ثم إن اليهود يؤمنون برسالات أنبياء نحن نؤمن برسالاتهم، ولو أن أصولها موجودة في كتابنا وضائعة في كتابهم. ولهذا فنحن نؤمن بالتوراة كتاباً، وباليهود كتابيين.. «والذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه».

والتوراة، كما هي اليوم، مؤلفة من ٣٩ سفراً، خمسة منها فقط أسفار العهد القديم: التكوين، والخروج واللاويين، والعدد، والتثنية. أما بقية الأسفار فقد ألحقت بها في أزمنة متباعدة، وأماكن مختلفة، وظروف خاصة. ومما هو جدير بالذكر ان السمرة، في مدينة نابلس، لا يعترفون حتى اليوم إلا بهذه الأسفار الخمسة، كما أنهم لا يعترفون بنبوة نبي بعد موسى. وهؤلاء يعتقدون بأنهم هم حملة التوراة الصحيحة وحماتها، العاملون بتعاليمها ووصاياها، والورثة الحقيقيون لبني اسرائيل.. مع أنهم في الأصل من بقايا الحثيين الذين أحلّهم سرجون الثاني، سنة ٧٢٢ ق.م.، محل اليهود، الذين نفاهم من فلسطين إلى شمال بلاد الشام، وأسكنهم مكان الحثيين[٨].. عملية مبادلة كانت شائعة في عرف حكام تلك العصور. وما الأنف الأقنى الذي يفاخر به هؤلاء، ويشهرونه في وجه اليهود للتدليل على انتمائهم إلى

(٨) المصدر السابق، ص١٥٢ - ١٥٤

بني اسرائيل، إلا دليل على انتمائهم إلى الحثيين.. فبنو اسرائيل سامير الأصل، أنوفهم مستقيمة وليست معقوفة فالأنف الأقنى علامة حثية، لا سامية.

والسمرة هؤلاء يتكلمون بالعربية، ويحرمون التزاوج من اليهود والاختلاط بهم، وكانوا يساعدون الغزاة ضد اليهود الآخرين، ويقال بأنهم ساعدوا نبوخذ نصر في غزو فلسطين، عندما غزا فلسطين، ولذلك لم يمسهم نبوخذ نصر بسوء.

ويتفق الصدوقيون مع السمرة في عدم الاعتراف إلا بالأسفار الخمسة الأولى من التوراة[٩].

لقد اتخذت التوراة من بني اسرائيل الموضوع الرئيسي لها، وكأن الكون فعلاً ما خلق إلا لهم، وكأن التاريخ لم يعرف أحداً غيرهم.

لقد عدتهم موجودين في كل زمان ومكان، حتى في العصور التي سبقت ميلاد اسرائيل نفسه.. لقد عدتهم موجودين حتى في عهد ابراهيم جد اسرائيل، واعتبرت وجودهم الوجود الوحيد في قوم موسى، مع أن معظم قوم موسى كانوا من الهكسوس ومن العبدان المصريين الهاربين، ولم يكن في قومه من بني اسرائيل سوى من بقي منهم من نسل إخوة يوسف، الذين أنزلهم فرعون، بحسب اشارة

---

(٩) المصدر السابق، ص١٥٤

يوسف، في أرض جاسان، في محافظة الشرقية اليوم. كما اعتبرت أيضاً أن جميع اليهود، في كل زمان ومكان، هم من نسل بني اسرائيل، مع أن بني اسرائيل كانوا وما يزالون قلة لا تذكر بالنسبة لكل يهود العالم، لأن معظم من يدينون بالديانة اليهودية، قديماً وحديثاً، ليسوا من أصول سامية. لقد جهد اليهود، طيلة تاريخهم، أن ينتسبوا إلى اسرائيل، ليتصلوا بنسبهم إلى ابراهيم، جد اسرائيل.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن ابراهيم الخليل، الذي يعتبره كل يهود العالم أباهم، بل جدهم الأول، انما هو عبري آرامي، كان يتكلم بالآرامية، وهي لهجة من لهجات اللغة الأم، التي كان يتفاهم بها سكان الجزيرة العربية الأقدمون. وأن اسرائيل حفيده وأسباطه الاثني عشر كانوا، قبل هجرتهم إلى مصر، يتكلمون بالكنعانية، وهي الأخرى لهجة من لهجات اللغة الأم، التي كان يتفاهم بها سكان الجزيرة العربية الأقدمون. وحين حل اسرائيل وبنوه في مصر اضطروا إلى تعلم اللغة المصرية، وبها تكلم اولادهم واحفادهم، وبها كلم موسى ربه على طور سيناء، وبها، على الأرجح، كتب موسى شريعته، التي ضاع أثرها، بالخط الهيروغليفي[10].

وبعد استقرار قوم موسى بأرض كنعان، أخذوا

(١٠) المصدر السابق، ص١٥٥ ـ ١٥٦

بالحضارة الكنعانية واللغة الكنعانية. أما لغتهم التي صارت تسمى، فيما تلا ذلك، باللغة العبرية، فهي إحدى اللهجات التي اقتبسوها عن الآرامية، بعد مرور ستة قرون على وجودهم في فلسطين، من بعد موسى. وبها بدىء بكتابة التوراة في بابل، بعد ذلك بسبعة قرون على الأقل، بالخط المربع، المأخوذ من أقدم الأقلام الآرامية، الذي يسمونه هم الخط الآشوري المربع. ولقد حفظوا هذا الخط، بعد تهذيبه، حتى يومنا هذا، وبه يكتبون لغتهم[١١].

وجاء عصر اليونان، فأضاف اخلاف اليهود في فلسطين إلى التوراة إصحاحي الميكابيين، باللغة اليونانية، ثم ترجموهما بعد ذلك إلى العبرية. أما ما ورد في التوراة من مزامير وأشعار وأمثال وشرائع وأساطير وخرافات وقصص.. فكلها مأخوذة من المصادر الأدبية والحضارية القديمة لمختلف الأمم والشعوب التي احتك اليهود بها، فاقتبس مدونو التوراة ذلك منها.. وكذلك فان التقاليد التي عاشها اليهود أنفسهم، ومارسوها في فلسطين وبابل ومصر، هي في الأعم الغالب كنعانية بابلية الأصل[١٢].

لقد أسقط في يد اليهود، بعد اكتشاف الآثار التي اكتشفت حديثاً في منطقتنا العربية، والبالغ عددها اكثر من

---

(١١) المصدر السابق، ص١٥٧ ـ ١٥٨

(١٢) المصدر السابق، ص١٥٨

نصف مليون أثر.. أسقط في يدهم حين اكتشفت الأصول التي استقى منها مدونو التوراة توراتهم.. تلك الآثار التي كتبت بأقلام مختلفة، وفي أزمان وأماكن مختلفة، والتي تحكي قصة حضارة تلك الشعوب، وتتكلم بلسان واحد، لا يشذ عنها إلا توراة اليهود، التي تدعي الأصالة، وتزعم القدسية والنزاهة.

لقد حاول كتاب التوراة متعمدين الخلط بين أدوار اليهود الثلاثة: دور ابراهيم واسحق ويعقوب، ودور موسى وقومه، والدور اليهودي. كما حاولوا إهمال التسلسل الزمني في سرد أحداثها، حتى يرجعوا بتاريخهم المزيف إلى أماكن وأزمان لم يكن لهم وجود تاريخي فيها، فيلتبس الأمر على الدارس أو المؤرخ، فلا يعود يميز. فالدور الأول كانت ديانته التوحيد. والدور الثاني كان ذبذبة بين التوحيد والوثنية. أما الدور الثالث فديانته هي ديانة اليهود اليوم.. وحدانية يهوه، إله اسرائيل وبني اسرائيل، من دون سائر الناس، مع أن يهوه هذا ليس إلا «إيل»، كبير آلهة الكنعانيين، حوله اليهود إلى يهوه بعد موسى، وجعلوا من اسرائيل ابنه البكر، ومن شعب اسرائيل شعبه المدلل المختار[١٣]، بدليل وجود عدة اماكن كنعانية تحمل اسم ايل في فلسطين كاسرائيل، وبيت إيل، وصموئيل..

---

(١٣) المصدر السابق، ص: ٢٨

لقد أنزل اليهود الله من عليائه، ووضعوه في مرتبة البشر كي يحطموا الحواجز بينهم وبينه، ويحملوه من آثامهم وشرورهم ما يشاءون.. فيهوه إله قبلي متوحش، متعطش لشرب الدماء. إنه إلـه أنـاني متحيـز، يعمـل لمصلحتهـم وحدهم، والإضرار بغيرهم من الشعوب، وهم هم شعبه المختار[١٤]. وحتى البشر لم يخلقهم يهوه على صورتهم التي هم عليها إلا لخدمة شعبه المختار. إنه إله جشع طماع يحب الذهب والمال، ويأمر شعبه المختار بجمعه واقتنائه، بأية وسيلة لقد ندم رب التوراة حين سمح بتشتيت شعبه وتدمير هيكله، فبكى وصاح ولطم خديه. لقد وعد يهوه من زعموا أنهم أجدادهـم: ابـراهيم، واسحـق، ويعقـوب بأرض فلسطين ملكا خالصاً لهم ولأبنائهم واحفادهم من بعدهم.. ليس أرض فلسطين وحدها، بل وما بين النهر الكبير (الفـرات) ونهر مصر (النيـل).. وليس هـذا فحسب، بل وكل أرض تدوسها بطون أقدامهم[١٥].

(١٤) لقد ذكر مناحيم بيجين في مذكراته «التمرد» أكثر من مرة مثل هذا المعنى.. ففي صفحة ٨٩ من ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية جاء: «وسيكون رب اسرائيل، رب الأرباب في خدمتنا دائماً». وكرر مثل هذا الكلام في صفحة ٢٦٣ أيضاً.

(١٥) جاء في الإصحاح ١٥ من سفر التكوين: «لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير».
كما جاء في الإصحاح ١٧ من السفر نفسه: «وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً».
وجاء في الإصحاح الأول من سفر التثنية: «أدخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم: ابراهيم واسحق ويعقوب، أن يعطيها لهم، ولنسلهم من بعدهم».

هذا بعض ما جاء في توراة اليهود عن إلههم يهوه.. إنه عبد ذليل لهم، ليس له عمل إلا خدمتهم وتنفيذ أغراضهم.. إنه يسكت عن جرائمهم، بل ويحثهم عليها.. إنه يخشاهم ولا يخشونه، ويتراجع لهم وهم ثبت في جرائمهم وسخائمهم ومخازيهم، ولهذا حرصت أسفار العهد القديم، منذ البداية، على تمييز الكهنة عن سائر الناس، حتى يحملوا التلمود ما ناءت التوراة بحمله، فأعفوهم من القتال ودفع الضرائب، ومنحوهم من الامتيازات والحقوق ما لم يمنحه الله لنبي من أنبيائه، وذلك كي يكون عندهم الوقت والجهد للخلط والتزييف والتضليل.

ونستطيع أن نستنتج، بدون كبير عناء، مدى جدية التوراة ودقتها حين نعلم أن سفر التكوين قد حدد عام ٤٠٠٤ ق.م. عاماً لبدء تاريخ الخليقة، وأنه قد صور كل أنبياء الله ورسله صوراً لا تليق حتى بالسفلة والمجرمين.. فالتوراة تذكر مثلاً أن ابراهيم قد ترك زوجته الجميلة سارة في قصر فرعون يستمتع بها طيلة إقامته في مصر، مدعياً أنها أخته، خوفاً من فرعون وطمعاً.. «وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أن يقولوا هده امرأته، فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك..» وتذكر التوراة أنه

«صار لابراهيم غنم وبقـر وجمال وحمير وأتـن وعبيـد واماء..»[16]

وتذكر التوراة أيضا ان اسحق بن ابراهيم قد ترك زوجته رفقة في قصر ابيمالك، ملك الأدوميين في جرار يستمتع هو الآخر بها، كما استمتع فرعون بأمه، وأن ابيمالك قد عوضه، كما عوض فرعون أباه «غنماً وبقراً وجمالاً وحميراً وأتناً وعبيداً وإماءً»..

أما زوجة لوط فقد استنفرت قومه للاستمتاع بالملائكة، حين زار الملائكة لوطاً.وأما ابنتاه فقد أسكرتا أباهما في ليلتين متعاقبتين، ضاجعتاه فيهما على التوالي، حتى يخرج له منهما ذكور يرثانه، لأن أمهما لم تلد له غيرهما.. «وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل يدخل علينا كعادة كل الأرض. هل نسقي أبانا خمراً، ونضجع معه فنحيي منه نسلاً؟ فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر مع أبيها، ولم يعلم باضجاعها، ولا بقيامها وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إنني قد اضجعت البارحة مع أبي.. نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلي واضجعي معه، فنحيي من ابينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضجعت معه، ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من

(١٦) الإصحاح ١٢ من سفر التكوين.

أبيهما..[17] وتواصل التوراة رقاعاتها فتزعم أن ابنته الأولى قد ولدت له عموناً جد العمونيين، وأن ابنته الثانية قد ولدت له موآبا جد الموآبيين[18].. مع أن العمونيين والموآبيين والأدوميين، كما هو ثابت تاريخياً، من القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية كما هاجر غيرها، واستوطنت في الجبال المعروفة بأسمائها في شرقي الاردن، قبل مجيء ابراهيم وابن اخيه لوط الى فلسطين بعدة قرون، وإلا لما استطاع اسحق أن يلقي بزوجته، كما زعمت التوراة، في أحضان ابيمالك، ملك الأدوميين!

ولو كان للوط ابنة ثالثة لأدخلتها التوراة على أبيها في ليلة ثالثة لتلد له أدوماً، جد الأدوميين.. إلا أن التوراة تخلصت من مثل هذا الإحراج بزعمها أن الأدوميين من نسل عيسو، شقيق يعقوب، بعد أن أعوزتها الإناث المضحيات بأعراضهن. تشويه متعمد، كما ترى، قصد به توسيع رقعة دولة اليهود لتشمل شرقي الاردن مع فلسطين، مع ان التوراة تذكر في مكان آخر، على لسان موسى: «لا يدخل عموني ولا مؤآبي ولا أدومي في جماعة الرب، من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء عند خروجكم من مصر.[19]

(١٧) الإصحاح ١٩، من سفر التكوين.
(١٨) الإصحاح ١٩، من سفر التكوين أيضاً.
(١٩) الإصحاح ٢٣. سفر التثنية.

وتواصل التوراة سخافاتها فتزعم أن يعقوب قد سرق من أبيه صنماً ذهبياً، وأنه قد صارع الله فصرعه في مكان يدعى اسرائيل، بالقرب من نابلس، ولذلك سمي باسرائيل. كما تزعم أن لابان، خال يعقوب، كان قد استأجره، عندما لجأ اليه في مدينة حران هرباً من أخيه عيسو، واستأجره سبع سنين، مقابل أن يزوجه خاله ابنته الجميلة راحيل. إلا أن لابان، بعد انقضاء المدة، غشه وزوجه من أختها القبيحة لائقة، متعللاً بأنه لا يستطيع أن يزوجه الصغيرة قبل الكبيرة، وأن يعقوب اضطر للعمل عند خاله سبع سنوات أخرى حتى يفوز براحيل، ثم عمل ست سنوات غيرها كي يحصل على مال يتقوى به على السفر بزوجاته واولاده إلى الخليل. وتزعم التوراة أيضاً أن لابان كان قد اكتشف، بعد رحيل يعقوب، أن صنمه الذهبي، الذي كان يعبده ويستبشر به، قد سرق منه وأنه عندما لحق بقافلة يعقوب وفتشها، وجد الصنم مخبأ في راحلة ابنته لائقة، وأنها هي التي تواطأت مع زوجها على سرقة صنم أبيها، انتقاماً لزوجها منه. وتزعم التوراة كذلك أن يعقوب وزوجتيه: لائقة وراحيل قد سرقوا من أنعام لابان وماله ما ليس لهم، قبل الرحيل.

أما دينا، ابنة يعقوب، فتزعم التوراة أنها ضاجعت شكيم بن حمور الحوِّي، وهو ابن صاحب الأرض التي

اشتراها يعقوب في نابلس، لينصب عليها خيامه وهو عائد من حرّان إلى الخليل، وأن والد الفتى تقدم إلى يعقوب يطلب يد دينا من أبيها، ليواري بذلك الفضيحة، وأن يعقوب قد وافق على ذلك بشرط ختان جميع ذكور آل حمور، وأن أبناء يعقوب انقضوا على المختونين، فأعملوا السيف في رقابهم وهم لا يستطيعون حراكاً، انتقاماً لأختهم منهم.. ثم نهبوهم، وفروا بأموالهم غانمين.

أما راؤوبين (روبين)، بكر يعقوب من، لائقة، فقد ضاجع جارية أبيه بلهة، فلم يحرك أبوه ساكناً، كما لم يحرك ولداها: دان، ونفتالي ساكناً، ولم يغضبا بما فعله أخوهما بأمهما. وكل ما فعله يعقوب أنه قد حرمه من حق البكورية، واعطاها لولده المدلل يوسف.

أما يهوذا، سبط يعقوب الرابع من لائقة، وجد داود وسليمان.. يهوذا هذا الذي يفخر اليهود بالانتساب إليه، ضاجع كنته، ثامار الكنعانية، فولدت له توأمين: فارص، وزارح. وداود قد تحدر من فارص، على حد زعم التوراة.. فداود بذلك ابن زنى.

وأما يوسف فقد كان يطعم أهله، عندما قدموا عنده في سني القحط مجاناً، في حين أنه كان يستوفي ثمن القمح الذي وزعه على الشعب المصري الجائع أضعافاً مضاعفة.. ففي العام الأول استولى على جميع الفضة التي بأيدي

الشعب. وفي العام الثاني استولى على مواشيهم. وفي العام الثالث صادر كل الأراضي.. وبهذا أصبح كل شعب مصر عبيداً لفرعون، يتحكم في رقابهم ومصيرهم، بتدبير من يوسف التوراة، وليس ظلماً من الطاغية فرعون.

لقد أرسل داود أوريا الحثي، أحد كبار قواده، إلى الحرب، وأمر القائد العام أن يتخلص منه غيلة، كي يخلو له الجو ليستمتع ببغشباع، زوجة أوريا الجميلة، التي كان قد رآها وهي تستحم عارية على سطح بيتها، فأعجب بها، ورأى أن تكون من نصيبه. وبغشباع هذه، كما تزعم التوراة، هي أم ابنة سليمان. وتصور التوراة أن داود هذا كان مهرجاً، رقص أمام تابوت العهد عارياً استهزاءً بتابوت العهد، وكان لا يصحبه معه في حروبه، كما كان يفعل اليهود في الحروب قبله، تيمناً بالتابوت، وزعماً منهم بأنه كان يساعدهم على النصر.

أما يوشلام بن داود فقد ضاجع عشراً من نساء أبيه على السطح. وأما أخوه أبشالوم فقد قتل أخاه آمْون لاعتدائه على شقيقته العذراء ثامار. وهذا هو السبب الحقيقي، كما تزعم التوراة، لتمرد أبشالوم على أبيه في الخليل، عندما نقل أبوه مقر عاصمته من الخليل إلى القدس، وليس بسبب النقل هذا. لقد بنى سليمان بن داود على جبل الرب (جبل صهيون) هيكلاً للوثنية، مقابل

هيكل الرب، ووضع فيه أصناماً بعدد زوجاته الوثنيات، إكراماً لهن وتقديراً. ويمكنك أن تتصور عدد هذه الأصنام، إذا علمت أن التوراة قد جعلت من نساء سليمان ألفاً: ٧٠٠ حرة و ٣٠٠ جارية.

وأما يوشع بن نون (اليسع)، قائد جيش سليمان، فقد زوجته التوراة من راحاب (رحاب) الكنعانية، التي تلصق التوراة بها صفة الزنى كلما ذكرتها، وكأن الزنى في التوراة وقف على هذه الخائنة الكنعانية المسكينة، مع ان «الزنا بالأخت والبنت والأم، واللواط، والمساحقة، ومواقعة البهائم.. من أكثر الآثام التي كانت شائعة بين ذلك الشعب. لقد خلطوا الملاذ بالطقوس الدينية، فغدت ضروب البغاء تكريماً لعشتاروت، وغدا السكر نوعاً من العبادة».[٢٠]

لقد زوجت التوراة رحاب من يوشع إكراما لها وتقديراً، لا لسبب إلا لأنها قد آوت في بيتها، في أريحا، جاسوسين أرسلهما يوشع ليتجسسا على قومها، قبل غزو المدينة، ودلتهما رحاب على عورات قومها، ومداخل مدينتها. لقد ولدت رحاب ليوشع بنات كن أمهات وجدات لثمانية أنبياء من أنبياء بني اسرائيل، على حد زعم التوراة.

وعثليا (عسلية) بنت آخاب، ملك السامرة، أباحت

(٢٠) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص٥١.

الزنى علنا للرجال والنساء، حين حكمت في أورشليم سبع سنين.. لقد أباحت ذلك بمرسوم ملكي، ممهور باسمها وخاتمها. وبنو عثلية هذه هدموا الهيكل، قبل أن يهدمه نبوخذ نصر على رؤوسهم بعدة قرون، وصيروا كل أقداس الرب للبعليم، أي بعل كبير آلهة الكنعانيين آنذاك.

ولو شئنا أن نعد المخازي والسخائم والجرائم التي ألصقها الأحبار في توراتهم بالأنبياء والرسل، وبغيرهم من الناس لضاق بنا المجال.. فمدونو التوراة كان لهم ولع خاص بالحض على: سفك الدماء، وهتك الأعراض، واغتصاب الأموال..

ومن الغريب أن التوراة حين تتكلم عن اسرائيل، تتكلم عنه بلهجة ودودة محببة، وتفيض عليه من الخصائص والصفات ما يميزه حتى عن أبيه اسحق وجده ابراهيم. فلا عجب إذن أن انتسبوا إليه، ونسبوا دولتهم إليه أيضاً.

وتبدأ قصة بني اسرائيل في التوراة بوعد من ملاك الرب لهاجر، وهي في البرية، بولد. وأمرها أن تدعوه اسماعيل الذي سوف يكون «انساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه».. وحين دعا ابراهيم ربه أن يكلأ اسماعيل وأمه بعنايته، بعد أن وضعهما بأرض الحجاز، أجابه رب التوراة: «بل ساراي هي امرأتك، تلد ولداً تدعوه اسحق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً، له ولنسله من

بعده» . . وهكذا جرد سفر التكوين اسماعيل من حقه في البكورية، كما جرد عيسو، شقيق يعقوب، من حقه فيها فيما بعد، كي يخلو الجو لاسرائيل، وبني اسرائيل، ليرثوا الأرض ومن عليها . ولذلك فسفر التكوين كثيراً ما يغفل اسم اسماعيل صراحة . . فمرة يدعوه ابن هاجر، ومرة يدعوه ابن جارية سارة، ومرة يدعوه الولد . . أما في قصة الفداء المعروفة، فقد انكره جملة وتفصيلاً، وزعم أن الذبيح هو اسحق، الولد الوحيد لابراهيم . وحتى من قبل أن يولد يعقوب صوره لنا سفر التكوين جنيناً ماكراً مخادعاً، حاول أن يخرج من بطن أمه قبل شقيقه عيسو، فلما أعياه ذلك، وفاز عيسو بالبكورية قبله، لحق به يعقوب سريعاً، وأمسك بعقبه، ولذلك سمي يعقوب . إلا أنه تحايل على عيسو بعد ذلك، واشترى البكورية منه، وهو جائع، بقصعة من عدس . وكذلك فقد تحايل يعقوب على أبيه، فباركه أبوه ظناً منه أنه عيسو، فنقم هذا عليه، وكان قوياً مفتول العضلات، ففر يعقوب إلى حران، عند خاله لابان، هربا من نقمة أخيه عليه . ولما رجع إلى عيسو، بعد عشرين عاما قضاها في حران، ورأى الشر يلمع في عيني أخيه، رشاه بما أحضره معه من مال وحيوان، فضمن بذلك سكوته عنه ورضاه» . .

لقد زوج سفر التكوين عيسو بامرأتين حثيتين ليبعده

بذلك عن طريق اسرائيل، وبني اسرائيل.

اسرائيل التوراة هذا رشا أخاه، وخدع أباه، وسرق خاله، وسكت عن زني ابنته، وزنى أولاده، وأشرك بربه، وحابى ابنه يوسف من دون إخوته مما جعلهم ويعتزون عليه ويفكرون بالتخلص منه.. ولهذا يفخر أبناء يهوذا، ويعتزون بنسبتهم إليه! لقد ميز مدونو التوراة ساماً على حام، كما ميزوا اسحق على اسماعيل، ويعقوب على عيسو، ويوسف على إخوته، وأبناء لاوي - وهم أجداد موسى وهرون - على سائر أبناء الأسباط، فجعلوا منهم الكهنة والأحبار، وأطعموهم من طعام الرب، وأعفوهم من الضرائب والتجنيد.

لقد ظل اليهود يقدسون بيت لاوي إلى أن ظهر داود وسليمان من بيت يهوذا، فطفا على السطح أبناء يهوذا، بصفتهم أصحاب التاج والصولجان، ومؤسسو أول مملكة لليهود. كما طفا على السطح قبلهم أبناء يوسف وبنيامين، بصفتهم رجال قيادة وحرب، وبخاصة بعد ظهور يشوع وشاؤول منهم.

ويبدو أن كلمة إله لم تحظ عند مدوني التوراة بما تستحقه من إجلال وتعظيم، بسبب ضحالة العقيدة في نفوس هؤلاء، وبسبب شيوع الآلهة وتعددها آنذاك، وادعاء بعض ملوك ذلك العصر الألوهية والتحدر من صلب الآلهة.

وهكذا انزلق هؤلاء في مثل هذه المزالق، لدرجة أنهم أثبتوا في توراتهم ان: «الرب قال لموسى: أنظر أنا جعلتك إله فرعون، وهرون أخاك يكون نبياً».

لقد كان اليهود أنفسهم عبيداً مستضعفين، فأرادت التوراة أن تبث الشجاعة والحمية في نفوسهم، فحرضتهم على القتل والإجرام وسفك الدماء.. «حين تقترب من مدينة، لكي تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك. وإن لم تسالمك، وعملت معك حرباً، فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف.. أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك إلهك الرب نصيباً، فلا تستبق منهم أحدا، بل تحرمها تحريماً: الحثيين، والعموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحوريين، واليبوسيين.. كما أمرك الرب إلهك».[21] «وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها، واستأصل أمما كثيرة من أمام وجهك وضربتهم، فأبسلهم إبسالاً.. لا تقطع معهم عهداً، ولا تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم، بل كذا تصنعون بهم: تنقضون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون غاباتهم،

(٢١) الإصحاح ٢٠، سفر التثنية.

ويحرقون بالنار تماثيلهم».[21] .. «وأهلكوا جميع ما في المدينة (أريحا) من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف. وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد، فاجعلوها في خزانة بيت الرب»[22] .. «وقال يشوع لقواد رجال الحرب الذين ساروا إلى مصر: تقدموا، وضعوا أقدامكم على رقاب هؤلاء الملوك.»[23] .. «وكلم الرب موسى قائلاً: وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم، ومناخس في جنوبكم.»[24] ..

ألا تذكرنا هذه النصائح الغاليات جداً بوصية أبي بكر الصديق، وهو يأمر الجيوش التي سيرها لتحرير العراق وبلاد الشام من الفرس والروم، بألا يقتلوا النساء والشيوخ والأطفال، وألا يبقروا البطون ويقطعوا الأشجار ويقتلوا الحيوان.. وان يعاملوا شعوب البلاد المفتوحة بالحسنى؟! ألا تذكرنا أيضاً بمذابح اليهود في دير ياسين، وناصر الدين، والجورة، والطنطورة، وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا ...!؟

لقد حرمت التوراة على اليهودي أن يستعبد يهودياً، أو

---

(21) الإصحاح 7، سفر التثنية.
(22) الإصحاح 6، سفر يشوع.
(23) الإصحاح 6، سفر يشوع.
(24) الإصحاح 33، سفر العدد.

أن يستغله.. فاليهودي مثلاً إذ زنى بيهودية يعد زانياً، أما إذا زنى بغير يهودية فلا يعد زانياً، لأنها من الأغيار، والأغيار في عرفهم نوع من الحيوان الأعجم.

واليهودي إذا سرق شيئاً من يهودي يعد سارقاً، أما إذا سرق من غير يهودي فلا يعد كذلك، لأنه من الأغيار، ومال الأغيار في عرفهم هو مال يهودي، نهبه الأغيار منهم، ويجب استرداده وارجاعة لأصحابه بأية وسيلة، لأن الأرض ومن عليها وما عليها إنما خلقت لهم لتخدمهم، وتسبح بحمدهم، وهكذا.. فاسحق حين بارك يعقوب، باركه بقوله: «ليستعبد لك شعوب.»[٢٥].. وداود يقول في ترنيمة له من مزاميره: «على أدوم أطرح نعلي.». ألا يستحل اليهود ذبح الأغيار في عيدي كيبور والبوريم، واستخدام دمائهم في صنع الخبز المقدس، مع أن أكل الدم محرم على اليهود؟ ألا يعدون كل عقود زواج الأغيار لاغية، وأن كل أولادهم أولاد سفاح وزنى، لأن هذه العقود أبرمت بين حيوان وحيوان؟ ألا يعتبرون أن الله هو المهم فقط، إله اسرائيل وشعب اسرائيل، وأن الأغيار لا إله لهم؟

«للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا.»[٢٦].. «وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث

٢٥ ـ الإصحاح ١٧، سفر التثنية.
٢٦ ـ الإصحاح ٢٣، سفر التثنية.

رجل، تستعبدونهم أبد الدهر. وأما اخوتكم، بنو اسرائيل، فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف.»[٢٧]

لقد اقتبس مدونو العهد القديم معظم ما دونوه في توراتهم من الأمم التي عايشوها.. فقد عثر المنقبون في بابل على الأصل الذي نسخوا منه قصة الخليقة، وقصة قابيل وهابيل، وقصة طوفان نوح[٢٨]. كما اقتبسوا من شريعة حورابي معظم ما سموه بشريعة موسى[٢٩]، لأن شريعة موسى كانت قد ضاعت مع تابوت العهد. وذهل العلماء، عندما وجدوا تطابقاً، يكاد يكون كاملاً، لغة وفكراً، بين الأدب الفنيقي الذي اكتشف في أوغاريت (رأس شمرا) ومملكة ابيلا، وبين ما جاء في سفر أيوب. كما وجدوا توافقاً في المفردات وأوزان الشعر والأفكار والأساليب بين مخلفات أدبية اوغاريتية وبين ما جاء في المزامير، وأن معظم المزامير والتسابيح التوراتية مقتبسة أصولها من أصول كنعانية.[٣٠] ومن المعلوم أن بعض قصائد أخناتون (أمنحوتب) في مدح الإله آتون تشابه المزمور ١٠٤ مشابهة تكاد تكون كاملة، كما أن المعاني، التي ذكرها أخناتون في تلك القصائد، تكررت أيضاً في أسفار اليهود.

---

٢٧ ـ الإصحاح ٢٥، سفر اللاويين.

٢٨ ـ العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ١٩٧.

٢٩ ـ المصدر السابق، ص ٢٠٦.

٣٠ ـ المصدر السابق، ص ١٨٥.

والفرق الوحيد بين آتون إله أخناتون وبين يهوه إله اسرائيل أن آتون عطوف رحيم، بينما يهوه شرس أناني مولع بالخراب وشرب الدماء. ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن أدوناي إله اليهود ليس إلا آتون إله أخناتون، تأثروا بعبادته قبل رحيلهم من مصر.[٣١] وحتى فكرة إلههم يهوه فقد أخذوها عن البابليين.. فقد كان لكل مدينة بابلية إله خاص بها، وهكذا جعل اليهود من يهوه إلهاً خاصاً بهم أيضاً.

لقد اكتشف علماء الآثار ما يثبت أن ما روته التوراة عن احتلال يوشع بن نون لأريحا كان دساً على التاريخ، بتفصيلاته ومزاعمه المتكررة. واكتشفوا كذلك أن المليون، الذين زعمت التوراة أنهم قد خرجوا مع موسى من مصر، رقم خيالي.. إذ لو كان مع موسى مثل هذا العدد، لما تجنب طريق مصر - فلسطين الطبيعي عبر العريش وغزة، خشية أن يصطدم بالكثافة السكانية هناك، ولما ساحل سيناء بقومه جنوباً إلى جبال شرقي الاردن، مطلاً على الغور.

لقد كان قوم موسى من القلة ومن الضعف بحيث مكثوا مدة طويلة في جبال شرقي الاردن، لا يجرأون على دخول فلسطين. وحين كان موسى يشجعهم على اقتحامها، كانوا يخاطبونه بقوله: «اذهبْ أنتَ وربك فقاتلا، إنا هٰهنا

---

٣١ - المصدر السابق، ص ٢٧٢.

قاعدون.». . أو «إنَّ فيها قوماً جبارين». . . أو إنّاَ لنْ ندخلها أبداً ماداموا فيها». وتوفيَ موسى، وتوفي هٰرون، قبل أن يدخل يوشع بهم فلسطين، من جنوبها، من المنطقة السكانية القليلة الكثافة، عبْر صحراء النقب ومدينة الخليل. وكذلك فإن جميع أعداد الجيوش، والقتلى، والأسرى، والغنائم، وكل ما ورد في التوراة من أعداد.. مبالغ فيه جداً، بالزيادة أو النقصان، إذ قصد بث الشجاعة والحمية في نفوس اليهود، ليس غير.

أما السومريون فقد أخذ عنهم مدونـو التـوراة بعـض التقاويم التي وصفوها، كما أخذوا عن الكلدانيين والبابليين التقويم والتنجيم أيضاً. وإننا لا نجد في التوراة أي ذكر لفكرة الدينونة (الحساب يوم الآخرة)، متأثريـن بـذلـك بالبابليين الذين كانوا لا يرون الدينونة إلا في الحياة الدنيا، منكرين بذلك اليوم الآخر. ولا يؤمن بالبعث من اليهود سوى السامريين. أما الفريسيون فقد اعتنقوا فكرة البعث، بشكل غائم، في زمن السيد المسيح، ثم تركوها بعد ذلك. إلا أن الصدوقيين كانوا من أعتى غلاة اليهود في إنكار البعث.

ومما أثار دهشة العلماء أن قصة آدم وحواء والحية وشجرة المعرفة وجدت منقوشة على أجرة في أثر من آثار السومريين. لقد كانت شجرة المعرفة شجرة نخل وليست

شجرة تفاح، كما ذكرت التوراة. وهذا النقش حفر قبل تدوين التوراة بأكثر من ألفي عام، على الأقل.[٣٢]

وحتى الختان، الذي يعده اليهود من مفاخرهم، وأساساً من أسس عقيدتهم، فقد أخذوه عن المصريين، الذين كانوا قد مارسوه قبلهم بأكثر من ألف وثلاثمائة عام، على الأقل، إذ وجدت آثاره في مومياتهم، وفي النقوش والرسوم التي خلفوها في قبورهم ومعابدهم. لقد كان الختان معروفاً أيضاً عند الكنعانيين، قبل أن يسمع به اليهود، أو يعملوا به. إلا أن اليهود جعلوا من الختان علاقة العهد بين الرب وبين ابراهيم، كما جعلوا الإعدام عقوبة من لا يختتن، لأنه يكون قد أنكر بذلك ذلك العهد. أما أساليب الذبح فإنها منقولة نقلاً كاملاً عن البابليين. وكذلك فإن جميع أعيادهم، ما عدا عيد كيبور (الفصح)، كانت في الأصل من الطقوس الكنعانية، فجاء اليهود وحولوها إلى أعياد لهم مقدسة، ودونوها في توراتهم، فماذا بقي لمدوني العهد القديم بعد ذلك؟

يقول غوستاف لوبون، إجابة على مثل هذا التساؤل ما يلي: «لم يكن لليهود فنون، ولا علوم، ولا آداب، ولا صناعة، ولا أي شيء تقوم به حضارة، ولم يأتوا بشيء قط، مهما صغر، في إشادة المعارف البشرية، ولم يجاوزوا

---

٣٢ ـ المصدر السابق، ص ١٩٦.

أبداً مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي لا تاريخ لها في أية مرحلة من مراحل تاريخهم. وحتى موسى، لم يستطع أن يفرض على جماعات العبدان، الذين جمعهم وألف منهم الشعب اليهودي، إلا ما تستطيع عقولهم الجامدة أن تتقبله، فما كان يفيد أولئك العبيد، الذين عادوا إلى حياة الرحيل والتنقل، نظام مصر المدنية. ولو أن موسى فرض عليهم تلك الحياة، لماتت قبل موته.. لقد حيرت لهجة اليهود الفارغة دولة روما العظمى نفسها، فلم تلبث فوضى ذلك الشعب المزعج وفساده وضوضاؤه أن استنفدت صبرها، فعزمت على إبادته كيلا تسمع عنه.. ولم تكن فلسطين غير بيئة ليست مناسبة لبني اسرائيل، فالبادية كانت الوطن الحقيقي لهم. وبقي بنو اسرائيل، حتى في عهد ملوكهم، بدويين أفاقين مغيرين سفاكين، مولعين بقطعانهم مندفعين الى الخصام الوحشي، فإذا ما تعبوا ركنوا إلى خيال رخيص، تائهة أبصارهم إلى الفضاء، كسالى خالين من الفكر كأنعامهم التي يحرسونها. ولم يكن هناك فتح بالمعنى الصحيح، على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة بالدس وانتفاخ الأوداج.. لقد كان اليهود عنيدين غفلاً سذجاً جفاة..(٣٣)

وفي ذلك يقول هـ. ج ويلز: «كانت حياة العبرانيين

٣٣ ـ خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل، ص ٢٢. نقلاً عن: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، لغوستاف لوبون.

في فلسطين تشبه حياة رجل يصر على الإقامة في طريق حافل مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار. ومن الأول للآخر لم تكن مملكتهم سوى حادث طارىء في حياة مصر وسوريا وآشور وفنيقية، ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم».

وفي ذلك يقول بريستد أيضاً: «إن الإسرائيليين، عندما جاءوا إلى أرض كنعان، كانوا بدواً رحلاً، يلبسون الجلود، ويرعون الماشية. وكانت المدن الكنعانية آنذاك ذات حضارة قديمة، نشأت قبلهم بأكثر من خمسة عشر قرناً. فيها منازل متقنة، وحكومة، وصناعة، وزراعة، وتجارة، ومعرفة بالكتابة، وديانة اقتبسها هؤلاء منهم، فغادروا بذلك سكنى الخيام إلى سكنى البيوت، وخلعوا عنهم جلود حيواناتهم، ولبسوا الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية الألوان.[٣٤]

وكتب وايزمن في مذكراته: «التجربة والخطأ» قوله: «العالم النيوزيلندي، آرنست رذرفورد قال لي: إنكم، معشر اليهود، ضيقو التفكير متعصبون متطرفون».

وأهم من هذا وذاك هو أن الآثار والأخبار قد أثبتت، بما لا يدع مجالاً للشك، بأن بني اسرائيل كانوا دوماً دخلاء غرباء على فلسطين، فلو لم يكونوا كذلك اذن

٣٤ ـ العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ٢٢١.

لما تركوها إلى مصر وغير مصر كلما أصابهم قحط، أوحل بهم مكروه فيها. لقد ترك يعقوب (اسرائيل) أرض كنعان إلى مصر، وحل هو واحفاده فيها، على مدى ستة قرون، حتى عادوا مع قوم موسى اليها، يسكنون في جزئها الجنوبي الصحراوي عيشة رعي وبداوة حتى ظهر داود وسليمان، فأقاما لهم في جزء منها دولة، لم تشمل سوى المنطقة الجبلية الممتدة من الخليل إلى نابلس، ولم تعمر اكثر من ٧٣ عاماً. ومع ذلك فقد نسج مدونو التوراة عن بني اسرائيل، وعن مملكة داود وسليمان الأعاجيب والأساطير، ثم صدقوها. لقد طمس مدونو أسفار العهد القديم سيرة موسى، وهجروا توراته المنزلة إلى عبادة يهوه وأدوناي والبعليم.. فضاعت تحت غبار الزمن والنسيان، الأمر الذي حدا بكثير من المؤرخين المحدثين إلى الشك في دور موسى كمشرع في حياة اليهود، والإنكار المطلق لمعظم ما نسب اليه من وضع الاسفار الخمسة الأولى من العهد القديم..

فالدين اليهودي لا يمكن اعتباره إذن أنه تطور ونما نمواً طبيعياً محلياً، بل إن عناصره الأساسية قد استقيت، كما أسلفنا، من أفكار ومعتقدات كانت شائعة بين الأقوام التي عاش اليهود بينهم. وذلك يبرهن على أن انعزال الديانة اليهودية عن غيرها، في الزمن القديم، ليس سوى خرافة بحتة. وإذا كان لليهود من فضل في ذلك، فليس إلا افضل

النقل والحفظ، وليس فضل الخلق والإبداع، هذا، وكل ما جاءوا به من عندهم كان حقدا دفيناً. ومنفخة جوفاء.
والتوراة أصلاً عندما تحدثت عن لغة التوراة، لم تقل أنها لغة العبرانيين، أو لغة بني اسرائيل، وإنما قالت: «شفة كنعان» أو «لسان حقدوس» أي اللسان المقدس. أما كلمة عبريت (عبري أو عبراني) فانها تصحيف لكلمة عبراي الآرامية، التي صاغها حاخامو فلسطين، في وقت لاحق.
والقرآن لم يذكر كلمة عبري أو عبراني، وإنما ذكر بني اسرائيل، وقوم موسى، واليهود أو الذين هادوا، مما يدل على أن هذه الكلمة لم تكن معروفة ولا شائعة عند نزول القرآن، بينما كلمة عربي أو أعرابي ذكرت في الكتابات الآشورية والبابلية والمصرية في القرن التاسع قبل الميلاد على الأقل. وكان اليونان والرومان يطلقونها على سكان الجزيرة العربية عموماً. أما كلمة العربيي فقد كانت تطلق على الآراميين والأدوميين من سكان بلاد الشام آنذاك.

لقد ترجمت التوراة إلى العربية، لأول مرة، في عصر الترجمة، زمن هارون الرشيد.

٣ ـ التلمود:

يزعم اليهود أن الله قد بلغ موسى شريعة مكتوبة، وبلغ اللاويين رسالة مكتومة. وبناء على ذلك فإن أحبار اليهود لم

٣٥ ـ الماسونية في العراء، د. محمد علي الزعبي، ص ١٤٤.

يكتفوا بالتوراة، ينفثون فيها عقدهم وسخافاتهم، وإنما ثنوا بالتلمود ليكملوا به ما كان قد فاتهم في التوراة، بعد أن أكملوا كتابة التوراة، وكأن عقدهم وسخافاتهم لا حد لها، فأحبوا أن يكون لهم كتاب مفتوح، يحملونه متى شاءوا ما شاءوا من جرائمهم ورقاعاتهم، ثم يضيفون إلى ذلك صفة القداسة. لقد كتب التلمود في الأصل لذم المسيح وأمه وتلامذته، والتهجم على المسيحية وإفسادها، بكلام بذيء لم تقله التوراة.[٣٦] لقد ورد ذكر التوراة في القرآن والإنجيل، أما التلمود فلم يرد ذكره فيها قط. ولا ندري أكان هذا الإهمال تقليلاً من شأن التلمود عند الديانتين الإسلامية والمسيحية، أم أن التلمود لم يكن قد تكامل بشكله الحالي عند تدوين القرآن والإنجيل، أم لغير ذلك من الأسباب؟

والتلمود معناه باختصار كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم، فهو بالنسبة للتوراة عندهم أشبه بالسنة النبوية بالنسبة للقرآن عند المسلمين.

وعلينا ان ننبه، منذ البداية بأن الديانة اليهودية، شأنها في ذلك شأن الديانة المسيحية، ديانة كهنوتية، بمعنى ان الحاخامات والكهنة هم الذين يضعون لليهود شرائعهم، ويشرحون لهم التوراة والتعاليم الدينية، ويعلقون عليها، بينما لا يحق لليهودي العادي أن يفعل ذلك، لأنه في عرفهم غير

٣٦ - التبرئة، بشير كعدان، ص ١٩٤.

أهل لذلك.. ومن هنا جاء تقديس، بل وعصمة رجال الدين عند اليهود. ولذلك فقد كانت وظيفة الكاهن عندهم وراثية، محصورة في اللاويين من نسل هروان، أخي موسى. وكان لهؤلاء، كما مر معنا، امتيازات خاصة بهم. لقد لعب مجمعهم المسمى بالسنهدرين - وهي كلمة يونانية معناها مجلس - دوراً كبيراً في حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية. وهذا السنهدرين هو الذي حاكم المسيح، وأصدر عليه حكماً بالموت. وكان السنهدرين يتألف آنذاك من سبعين عضواً، من كبار رؤوسهم، ويدعي اليهود أن أول سنهدرين كان سنهدرين موسى، حين دعا سبعين رجلاً من كبار رجال قومه إلى الاجتماع في خيمة العهد، لمعاونته في تهدئة ثائرة قومه، الذين أخذوا يطالبونه بالرجوع من أرض سيناء المقفرة إلى أرض النيل الممرعة.[٣٧]. وبقي السنهدرين، منذ نشأته حتى اليوم، يلعب دوراً رئيسياً في حياة اليهود[٣٨].. لقد لعب دوره في خيمة عهد موسى، وفي هيكل سليمان، وهيكل زرو بابل، وفي أورشليم ويبنه وطبرية وأوشا من أرض كنعان، فيما تلا ذلك.. وإنه اليوم يلعب دوره كاملاً، بعد أن تطور وتحور ليلائم روح العصر، في شكل المحفل الماسوني الكوني، كما سيجيء ذلك مفصلاً في حينه.[٣٩]

٣٧ - العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ١٥٠.

٣٨ - يعرف السنهدرين في أمريكا اليوم باسم الكحيلا (الكهيلا).

٣٩ - المصدر السابق، ص ١٥١.

والتلمود، بصورة عامة، هو مجمل القواعد والوصايا والشرائع والتقاليد الدينية والأدبية والشروح والتفاسير والروايات المختلفة المتعلقة بدين وتاريخ وجنس بني اسرائيل. وكان اليهود، حتى كتابة التلمود، يتناقلونه مشافهة، إلا أنه بعد أن تعاظم شأنه، وتراكم شحمه، لدرجة عزَّ على النقل، قرر أحبارهم تدوينه، خوفاً عليه من النسيان والضياع، أو اختلاطه بغيره، وكذلك ليسهل عليهم نشره.. وهكذا برز التلمود إلى الوجود، في وقت لا يعرف تاريخه بشكل محدد.[٤٠] ويرجح بأن عملية تدوين التلمود قد بدأت مع بداية عملية تدوين التوراة في بابل، في القرن السادس قبل الميلاد، وظلت ممتدة، بعد رجوع اليهود من الأسر البابلي، سنة ٥٣٩ ق. م. في عدة مدة من فلسطين كالقدس واريحا وطبرية.. ويقال بأن أول من جمع التلمود في كتاب هو الحاخام يوخاس، وانه قد سماه المشنا، ثم زيدت عليه، في القرون اللاحقة، متون وحواشي وشروح كثيرة، بما يعرف بالجمارا. فالتلمود إذن مقسم الى قسمين: المشنا، والجمارا.

أما المشنا (المتن) فانها تعني الدرس، أو الشريعة، وهي عبارة عن مجموعة من التعاليم والقوانين الدينية والمدنية والسياسية التي أقرها أحبار اليهود في العصور

---

٤٠ ـ الماسونية والصهيونية والشيوعية، صابر عبدالرحمن طعيمة، ص ١٦٥ .

المختلفة.[41]، وهي مقسمة إلى عدة أقسام.. منها ما يختص بالزراعة، ومنها ما يختص بالصلاة والدعاء، ومنها ما يختص بالأعياد والسبوت والمواسم، ومنها ما يختص بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث، ومنها ما يختص بالأحوال المالية والجنح والقرابين والذبح والختان والطهارة، وما إلى ذلك..

وأما الجهارا (الشرح) فانها تعني الإتمام، أو الإكمال، وهي تقوم على جملة من الأحاديث والروايات المسموعة من كبار الحاخامات، على مدى أجيال متعددة. ولهذا فإن الجهارا تفسر المشنا كما تفسر المشنا التوراة. وتحتوي الجهارا أيضاً على خلاصة الأبحاث والدراسات والمجادلات التي تم تداولها في المعابد، ولهذا فإنها تشتمل على أمثال وحكم وأخبار ومعلومات تتعلق بالأمور العامة والصناعات الطبية والفلكية والحرفية، وما إلى ذلك. وتكاد تكون الجهارا موسوعة تشمل كل حياة اليهود، بأدق تفصيلاتها.

ويزعم اليهود أن موسى كان قد شافه قومه بالتلمود وهو على جبل طور سينين، وأن أخاه هرون قد تداوله من بعده، ثم أخذه عنه يشوع فاليعازر، إلى أن تسلمه أنبياء بني اسرائيل على التوالي منه ومن بعضهم، حتى وصل في القرن الثاني بعد الميلاد إلى الحاخام الأكبر يهوذا، الذي

٤١ ـ خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل، ص ٦٩.

دونه بشكله الحالي.[42] وهناك ما يؤكد أن عملية التدوين والإضافات ظلت سائرة حتى القرن السادس بعد الميلاد، على الأقل، عند ظهور الإسلام.

وكما أن هناك توراتين، توراة بابلية وتوراة أورشليمية، كذلك فان هناك تلمودين: تلمود بابلي وتلمود أورشليمي. والتلمودان كالتوراتين مختلفان لغة ومحتوى.. فلغة التلمود البابلي شبيهة بلغة التوراة البابلية، هي الآرامية الشرقية (آرامية العراق).. وهذا ما يرجح أن بداية كتابة التوراة البابلية قد لازمها كتابة تلمود بابلي. أما لغة التلمود الاورشليمي فإنها شبيهة بالآرامية الغربية (آرامية سورية)، وفيها مصطلحات وألفاظ يونانية ولاتينية. وحجم التلمود البابلي أكبر من حجم التلمود الأورشليمي بأربعة أضعاف. والتلمود كما هو الآن بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته، يبلغ ٣٦ مجلداً، مطبوعة باللغة الانجليزية. ألم نقل إنه أشبه بموسوعة تشمل كل حياة اليهود؟

وأول طبعة للتلمود ظهرت في البندقية، سنة ١٥٢٠ ب. م.، تلتها طبعة أخرى فيها سنة ١٥٥٠ ب. م. كانت في ١٢ مجلداً. وحين وقع التلمود في أيدي الناس، تعرض اليهود إلى اضطهاد ومذابح، بسبب ما جاء فيه من ذم للمسيح وأمه وحوارييه، وتهجم على الكنيسة ورجالها

---

٤٢ ـ العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ١٧٤.

والدين المسيحي... مما أجبر أحبار اليهود إلى إعادة طباعة التلمود للمرة الثالثة في مدينة بازل في سويسرا، سنة ١٥٨١ ب. م.، وحذف كثير من الفقرات والصفحات التي تفضح نوايا اليهود وطواياهم الشريرة الخبيثة. إلا أن اليهود احتفظوا لأنفسهم سراً بما هو محذوف، وكانوا يضيفونه إلى نسخهم الخاصة التي يقتنونها. ولكنهم حينما اكتشف أمرهم، لجأوا إلى أسلوب آخر أكثر خبثا ودهاءً، وهو ترك مكان خال للفقرة المحذوفة يكتبونها بخط أيديهم، أو يلقنهم إياها الحاخامون شفهياً، عند وصولهم اليها.[٤٣] ومع هذا، فما يزال التلمود، بالرغم مما طرأ عليه من تبديل وتغيير وحذف، كي يبدو مقبولاً للأغيار، زاخراً بالفضائح والمخازي والجرائم التي يندى لها جبين البشرية خجلاً ولا يرف لها جفن يهودي واحد.

واليهود يقدمون التلمود على التوراة، وهو موقف ينفرد به اليهود من دون سائر حملة الرسالات، فليس من المعقول أن يكون الفرع أثبت وأفضل من الأصل. وفي التلمود ذاته من الأقوال ما يحث على ذلك... «إعلم أن أقوال الحاخامين أفضل من أقوال الأنبياء».. «إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارا، فليس له إله».. «إن تعاليم الحاخامين لا يمكن نقضها ولا تغييرها، حتى بأمر

٤٣ - خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل، ص ٧٠. لهذا أكره اسرائيل، أمين سامي الغمراوي، ص ٤٠.

الله ».. « إن الله يستشير الحاخامين على الارض، عندما توجد مسألة عويصه، لا يمكن حلها في السماء.».. « يجب الالتفات إلى أقـوال الحاخـامـين أكثر مـن الالتفـات إلى شريعة موسى.»[٤٤]، وهكذا..

لقد ضمَّن اليهود تلمودهم من السخافات ما لا يمكن أن يصدقه أي عقل سليم متزن[٤٥].. فقد زعموا فيه مثلاً أن خلافاً كان قد وقع بين الله وبين أحبار اليهود يوماً، وبعد أن طال الجدل بينه وبين هؤلاء في ذلك، تقرر إحالة المشكلة برمتها إلى أحد الحاخامين الربيين، وحين عرضت المشكلة عليه، حكم هذا لصالح الأحبار، مما اضطر الله إلى أن يعتذر للأحبار عن خطئه. والتلمود يصرح لليهودي بأن يطعم الكلاب ولا يطعم الأغيار، ويصرح له أيضاً بقتل الأغيار والإضرار بهم كلما أمكنه ذلك.. « إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة ـ والمسلمون والمسيحيون معدودون عندهم مـن الوثنيين ـ وجـب على الإسرائيلي أن يسـد بـابها بحجر.».. « من سفك دم الكافر، فإنه يقرب قرباناً إلى اللـه.».. « مـن قتـل اسرائيليـاً، فكـأنـه قتـل النـاس جميعاً.»[٤٦]، وهكذا.. هكذا يحضُّ التلمود أتباعه على

---

٤٤ ـ خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل، ص ٧١.

٤٥ ـ راجع المصدر السابق، ص ٧٠ ـ ٧٦، للاطلاع على بعض هذه السخافات.

٤٦ ـ الماسونية والصهيونية والشيوعية، صابر عبدالرحمن طعيمة، ص ١٦٩ ـ ١٧٢ وهنا لا بد من الاشارة الى أن القرآن الكريم يقول: « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً». قارن بين نظرة إنسانية شاملة، وبين نظرة أنانية ضيقة.

ذبح الأطفال في عيد كيبور، وذبح الشباب في عيد البوريم، تقرباً من رب الجنود يهوه، ولصنع الخبز المقدس، الذي يتلذذ الأحبار، واضعو التلمود، بنكهته وطعمه. فبئس دين يحض على القتل، وبئست أمة تتخذ من الجريمة والرذيلة مفاخر لها![47].

والتلمود يصرح لليهودية أن تزني غير آثمة بغير اليهودي، كما يصرح للزوج أن يزني حتى في بيت الزوجية، وأن يأتي زوجته من الخلف.

والنهار في عرف التلمود ١٢ ساعة.. في الثلاث الأولى منها يجلس الله يطالع الشريعة. وفي الثلاث الثانية يتفرغ فيها لحكم الكون. وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم. وأما في الثلاث الأخيرة فإنه يتفرغ لنفسه: يلاعب الحوت، ويداعب التمساح، ويستريح من عناء العمل.. إلا أنه بعد أن أخطأ، وصرح بهدم الهيكل، وندم على فعلته هذه، فبكى لذلك ولطم خديه، أصابه اكتئاب عظيم فحرم على نفسه مثل هذه المتع،: تكفيراً عن خطيئته التي لا تغتفر.[48]. هذا، ويزعم التلمود أن الله كثيراً ما يطلب من الأحبار الربيين أن يغفروا له أخطاءه، كلما أخطأ، وهو كثيراً ما يخطىء..

---

٤٧ - لمزيد من معرفة ضحايا كيبور والبوريم يراجع كتاب: خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل، ص ٧٧ - ٨٢. لهذا أكره اسرائيل، أمين سامي الغمراوي، ص ٥٧ - ٦٤.

٤٨ - الماسونية والصهيونية والشيوعية، صابر عبدالرحمن طعيمة، ص ١٦٩ - ١٧٢

فهو قد طلب منهم مثلاً أن يغفروا له خطيئته عندما خلق القمر أصغر من الشمس، كما طلب أن يذبحوا له قرباناً يكفر به عن خطيئته تلك.

ويزعم التلمود أيضاً أنه في ليلة كل سبت تتجدد عند كل يهودي، روح جديدة على روحه الأصلية، و ذلك لأن أرواح اليهود جزء من روح الله، أما أرواح الأغيار فإنها أرواح شيطانية.. ففي ليلة كل جمعة يخلق عدد من الشياطين الآدمية. ولهذا فإن التلمود يطمئن أتباعه بأن إلههم يهوه يغفر لهم في عيد كيبور (الغفران) كل الأعمال السيئة التي أنزلوها بالأغيار، ولا يغفر الأعمال السيئة التي أنزلوها ببعضهم. وهو غافر لهم مقدماً كل ما سيفعلونه من جرائم في العام القادم.. فلا حرج عليهم إذن من ارتكاب الجرائم مقدماً، على الحساب.!!

ومن سخافات التلمود أنه ذكر بأن أحد الحاخامين كان بإمكانه أن يخلق رجلاً بعد أن يقتل آخر، وأن هذا الحاخام كان يخلق كل ليلة عجلاً، عمره ثلاث سنين، بمساعدة حاخام آخر، وأنهما كانا يذبحان العجل بعد ذلك ويأكلانه معاً. وكذلك فإن أحد الحاخامين كان بإمكانه أن يحول بالسحر الذي يعرفه، الماء إلى عقارب، وأنه قد سحر امرأة يوماً، وجعل منها أتاناً ركبها، ونزل بها إلى السوق يتسوق.

والتلمود يزعم، أخيراً وليس آخراً، أن اليهودي أفضل عند الله من كل الملائكة وكل الأنبياء والرسل.. لأن الكون إنما خلق لليهود وحدهم، وأنه لولا وجودهم لانعدمت البركة من على وجه الأرض، ولا نحبس المطر، ولما كانت هناك حياة وأحياء!

من كل هذا نرى بأن نظرة اليهود إلى الأمور، ومنها وجود الله، نظرة سيئة مادية بحتة، لا روحانية فيها. فهي بذلك دون نظرة الحيوان الأعجم، فلكل حيوان، مهما بلغ هذا الحيوان من الانحطاط والشراسة، ايجابية سلوكية.. ففي الكلب وفاء، وفي الحمار صبر، وفي الجمل حلم، وفي الحصان شموخ، وفي الأسد شجاعة، وفي الذئب حمية، وفي الهر نظافة.. أما اليهودي فماذا فيه؟!

لقد تحرز مدونو التوراة، نوعا ما، حين دونوا توراتهم، فوضعوا في ثناياها بعض ما جاء على لسان الأنبياء والرسل، كما وضعوا فيها بعض ما جاء في حضارات الأمم التي عايشوها. أما مدونو التلمود فقد أرخوا العنان لأنفسهم، فشط بهم الخيال بعيداً بعيداً، وحملتهم الخرافات والسخافات والرقاعات على أجنحة من الهذيان والهذر.

والتلمود البابلي أكثر انتشاراً بين اليهود وأنصارهم من التلمود الأورشليمي، لأنه أقدم في الإجرام وأعرق. وكما ظهر بين اليهود جماعات رفضت معظم أسفار التوراة، ما

عدا أسفار العهد القديم الخمسة الأولى، كالصدوقيين والسمرة. كذلك ظهر من بينهم من رفض التوراة جملة وتفصيلاً، كالربانيين - وليس الربيين - بالإضافة الى الصدوقيين والسمرة أيضاً.

لقد أخرج مدونو التوراة والتلمود الكنعانيين والفنيقيين والعموريين متعمدين من حظيرة الشعوب السامية، وذلك لكي يدخلوا في روع الناس أنهم هم الذين عمروا فلسطين وسكنوها، وأقاموا كل ما كان فيها من مدنية وحضارة، فهي بذلك ملك خالص لهم بحق العهد الرباني، وبحق التملك الزماني.. تماماً كما أدخلوا في روع عميان الغرب أن فلسطين أرض بلا شعب، أو أنها أرض بشعب متخلف جاهل، لا يستحق الحياة والعيش، في حين أنهم عدوا الحثيين من نسل كنعان بن حام، مع أن الحثيين في الأصل ليسوا من الساميين، وإنما هم من بقايا الشعوب الهندية الأوروبية التي غزت المنطقة من الشمال والشرق، قبل ظهور العبرانيين فيها بقرون.

خلط مقصود مبرمج، وسخافات قد تصلح للتسلية، وأخيلة غائمة مريضة..

وعلى هذا قامت اسرائيل، وبهذا يفخر شعب الله المختار..

فلتغلق العقول إذا ما تكلمت التوراة، ولتتبلد الحواس

إذا ما تكلم التلمود . .

فملك يهوذا قادم، يخطر بين أبناء شعبه على أشلاء ضحايا الأغيار . . فانتظروه كي يخلص البشرية من أوضارها . . انتظروه، واسجدوا له خاشعين، فالتوراة في يمينه والتلمود في يساره!! وشكراً لاسرائيل، ولرب اسرائيل، إله الجنود والحرب، المتعطش لدماء الجوييم!!

الفصل الثالث
مملكة داود وسليمان

١ ـ قوم موسى
٢ ـ مملكة داود
٣ ـ حجم المملكة والهيكل
٤ ـ يهوذا واسرائيل
٥ ـ اليهود بين سبيين
٦ ـ اليهود في المنفى
٧ ـ اليهود على هامش التاريخ

١ ـ طارئون عليها :

ذكرنا سابقاً أن بعض أجداد اليهود القدامى من العبرانيين كانوا رعاة حفاة متخلفين، أخذوا يظهرون في أطراف الهلال الخصيب بشكل جماعات صغيرة ضعيفة متفرقة، ومنهم من احترف السلب والنهب مع جماعات الهكسوس من مدن وقرى الشعوب الحضارية التي سبقتهم إلى تلك المنطقة وعمرتها. وظل هؤلاء، منذ القرن العشرين قبل الميلاد حتى ظهور موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لا شأن لهم ولا وزن، عالة على كل ما أنتجته قرائح تلك الشعوب، وبخاصة الكنعانيين والبابليين، من مدنية وحضارة.. يتكلمون بلغاتهم، ويكتبون بحروفهم، ويعبدون في الأعم الغالب أصنامهم، ويقلدونهم في أساليب عيشهم، ويسكنون بينهم تابعين أو كالتابعين، إذا ما آثر بعضهم ترك حياة الرعي والبداوة، والاستقرار في القرى والمدن، بعد أن عاف حياة التسكع والرحيل.

وخرج موسى بقومه، أو بأصحابه، أو بمن معه، أو بشيعته، على حد تعبير القرآن الكريم، كلما قرن اسم موسى بمن خرج معه،[1] في عهد رعمسيس الثاني،[2] على الأرجح، فراراً من ظلمه، ولم يكن معه إلا بضعة آلاف،

١ ـ ذكر موسى في القرآن ١٣٦ مرة، لم يقرن اسمه ببني اسرائيل فيها سوى مرة واحدة، هي: «ألم تر إلى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى».

٢ ـ العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ٢٤٨.

إذ لولا ذلك لما استطاعوا أن يبقوا في صحراء التيه أربعين عاماً، ولما اتخذوا من جنوب سيناء وجنوب شرقي الأردن مدخلاً لهم إلى فلسطين، ولما تهيبوا دخولها عندما أشرفوا عليها، ضارعين إليه أن يعود بهم إلى مصر، أو يذهب يحارب القوم الجبارين هو وربه، وهم في مكانهم قاعدون. فهل رب موسى وهـرون غير رب هؤلاء الأخلاط؟

نعم، إن رب موسى وهرون غير ربهم، وإلا لقالوا له: «إذهب أنت وربنا..». لو كان هؤلاء يؤمنون بما جاء به موسى، إذن لانصاعـوا لأوامـره، ولما تمردوا عليـه عـدة مرات، ولما عبدوا العجل الذهبي عندما كان على جبل الطور يكلم ربه. إنه رب موسى وهرون وثلة من المؤمنين كانت تلتف حولها، أما الباقون فكانوا بأغلبيتهم وثنيين، «اتخذوا من حليهم عجلاً جسداً له خوار.»[٣] ولا عجب في ذلك، فمعظم قوم موسى كانوا من الهكسوس، ومن عبدان المصريين، وقلة قليلة منهم كانوا من بني اسرائيل، من بقية نسـل يعقـوب، الذيـن هاجروا إلى مصر عنـد يوسف، قبل الخروج بستة قرون. «..ومن قوم موسى أمة يهتدون بالحق، وبه يعدلون.» من قوم موسى، قلة قليلة من

---

٣ - صنع العجل من الذهب المصري الذي كان مرهوناً عند المرابين من قوم موسى، وكذلك من حلي استعارته نساؤهم من جاراتهن المصريات، قبل الخروج بيوم واحد، بزعم أنهن في حاجة إليه مدة ثلاثة أيام في البرية، لممارسة الطقوس الدينية، بصحبة أزواجهن.. «وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى اعاروهم. فسلبوا المصريين» الإصحاح ١٢، من سفر الخروج.

قوم موسى، وليس قوم موسى كلهم، أو حتى بأغلبيتهم. وهذا هو الذي ألجأ موسى إلى أن يدعو ربه أن يجعل له وزيراً من أهله، هراون أخاه، يشدد به أزره، ويشركه في أمره.

ومات موسى في جبال شرقي الأردن، في ظروف جد غامضة.. فالتوراة تزعم أن الرب قد أماته لأنه خانه، وهناك من يرجم أن الكهنة هم الذين قتلوه غيلة، حتى يرجعوا لعبادة الأصنام. ومنهم من يذهب إلى أن قائده يوشع بن نون هو الذين قتله، حتى يكون له شرف دخول فلسطين دونه. وعلى كل، فموسى لم يمت ميتة طبيعية، فلقد مات مقتولاً أو مسموماً(٤)، قبل أن يدخل بقومه فلسطين، فترك بذلك الفرصة ليوشع بن نون ليدخلها بهم، فدخلها بعد أن احتل اريحا بحيلة، من الجنوب، متجنباً وعورة المنطقة والكثافة السكانية التي حالت بينه وبين تسلق المنطقة رأساً الى القدس. وحتى الطريق السهل الذي اختاره يوشع لدخول فلسطين، لم يكن سهلاً عليه وعلى من معه، إذ كلفهم سبعة عشر عاماً في معارك طاحنة، التهمت زهرة محاربيهم، قبعوا بعدها في الجنوب، حول مدينة الخليل. أما القدس فلم يدخلها بنو اسرائيل إلا في عهد داود،بعد أن احتل داود القدس، عقب ذلك بثلاثة قرون، على الأقل.

---

٤ - العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ٢٩٠.

من هذا نرى أن بني اسرائيل لم يكن لهم وجود مستقل، لا في فلسطين ولا في غير فلسطين، منذ أن وطئت أقدامهم أرض فلسطين حتى السبي الروماني الثاني، سنة ٧٠ ب. م. فابراهيم جد اسرائيل واسحق والده عاشا غرباء في كنف الكنعانيين.. فالتوراة لا تذكر حركة من حركات ابراهيم وذريته إلا مقرونة بالغربة. «تغرب أبرام في أرض كنعان».. «وانحدر ابرام إلى أرض مصر ليتغرب هناك.».. «أنا غريب ونزيل عندكم». «وسكن يعقوب في غربة أبيه اسحق، في أرض كنعان.».. «وجاء يعقوب إلى أسحق أبيه، إلى حبرون، حيث تغرب ابراهيم». لقد ولد أبناء اسرائيل، الاسباط الاثنا عشر وأختهم في فدان آرام، في منطقة حران، حيث مكث والدهم يعقوب في خدمة خاله لابان، مدة عشرين عاماً. أما الجيل الثاني من بني اسرائيل فقد ولد معظمهم في أرض جاسان بمصر. لقد كان بنو اسرائيل، حتى في عهد داود وسليمان، يقلدون الكنعانيين في كل شيء، ولم يكونوا بمعزل عن سكان المنطقة، حتى في الاختلاط بهم عن طريق الزواج.. فيوسف مثلاً تزوج أسنات بنت فوطي فارع، كبير كهنة مصر، فولدت له منسي وأفرايم. وموسى تزوج صفورة بنت شعيب مدين، وهي بدوية أعرابية، كما تزوج تربيس وهي امرأة كوشية (حبشية). ولم تذكر التوراة ولا غيرها أنه تزوج بأخرى غيرهما. ويوشع بن نون تزوج راحاب

الكنعانية[٥].

ومن هذا يتضح أن نقاء دم بني اسرائيل، واتساع مملكتهم ليس سوى خرافة توراتية تلمودية.. فأبناء بني اسرائيل وأولادهم وأحفادهم بوجه عام، تزوجوا من الشعوب التي عاشوا بينها، وزوجوهم من بناتهم، واتخذوا لهم من أسمائهم أسماء.. فابراهيم، ويعقوب، ويوسف، واسماعيل، واسرائيل، وناحور، وتارح، وصهيون، ويهوذا.. كلها أسماء كنعانية كانت معروفة في بلاد الشام، قبل قدوم ابراهيم نفسه إليها بقرون. وما لنا نذهب بعيداً. أليس ابراهيم نفسه آرامياً عبرانياً من أهل هذه المنطقة؟ سفر أشعيا ذكر القدس، كما أسلفنا، باسم عربئيل، ويعقوب سمي باسرائيل نسبة الى مكان قرب نابلس بهذا الاسم، وصهيون اسم تل من التلال المبنية عليها مدينة القدس.. لقد خاطب حزقيال القدس بقوله: «أبوك عموري، وأمك حثية».. على اعتبار أن أدوني صادق، وهو ملك القدس الكنعاني عندما دخل قوم موسى فلسطين، عموري، وزوجته حثية، وكذلك فان الأعشى قد استعمل كلمة اورشليم في شعره، وعنى بها القدس. وما يزال البدو في جزيرة العرب يسمون اولادهم باسم اسرائيل.

ونعود لنؤكد من جديد بأن أخلاط الشعوب الذين اعتنقوا التوراة والتلمود، بعد تدوين التوراة والتلمود،

٥ ـ المصدر السابق، ص ٢٢٥ ـ ٢٣٢

والذين عرفوا باسم اليهود، ليسوا كلهم من العبرانيين، ولا من بني اسرائيل، بل إن القليل القليل منهم من نسل هؤلاء وأولئك، وأن معظمهم من شعوب تركمانية تترية خزرية. غير أن مدوني التوراة حاولوا جاهدين أن يسحبوا تسمية بني اسرائيل على كل من يعتنق الديانة اليهودية، أياً كان أصله أو منبته، ليؤكدوا صلة هؤلاء بابراهيم وذريته، وبخاصة الأنبياء منهم. والتوراة أصلاً عندما تحدثت عن العبرانيين، تحدثت عنهم باستحياء، وكأنهم غرباء عن اليهود، وعن بني اسرائيل أيضاً. ولا عجب في ذلك، فالعبرانيون أصلاً من الآراميين، الذين حاول كتاب التوراة، كما يحاول يهود اليوم، فك ارتباطهم بهم، ليفسحوا بذلك مجالاً لأنفسهم في تاريخ العالم، يتحدثون فيه عن تفردهم بالمجد، واختيارهم دون غيرهم لحمل رسالة السماء إلى الارض، وليثبتوا أن لهم حقاً في أرض فلسطين.

احتل الموسويون، بقيادة يوشع، أريحا ومدن فلسطين الجبلية حتى مدينة القدس، التي كانت قد حمتها أسوارها المنيعة وأصحابها اليبوسيون الأشداء. أما ساحل فلسطين، من العريش حتى يافا، فقد احتله الفلسطينيون، الذين قدموا إلى فلسطين، سنة ١١١٩ ق. م. من سواحل بحر ايجة، واستطاعوا أن يقيموا لهم في السهل الحالي الفلسطيني كيانا مستقلاً، إلا أنهم، بعدما يقرب من قرن ونصف من

الزمن، اندمجوا مع الكنعانيين، الذين كانوا متقدمين عليهم مدنية وحضارة، فأصبحوا منهم.[٦]

قدم الفلسطينيون إلى فلسطين، وأتباع موسى فيها، في عهد يشوع، إلا أن يشوع لم يحاول أن يتحرش بهم، نظراً لتفوقهم الحربي عليه، ولأنهم كانوا يستخدمون أسلحة حديدية ليست بيد جيشه، كالدروع مثلا.[٧] وبعد موت يشوع تحرش جماعته بالفلسطينيين، فهزمهم هؤلاء، واستولوا على تابوت عهد موسى، الذي كانوا يصطحبونه معهم في الحرب، تيمناً به، فنقلوه معهم إلى أسدود، ووضعوه مع أوثانهم التي كانوا يقدسونها. ولم يسترجع تابوت العهد هذا إلاَ في زمن داود، ضمن شروط صلح بينه وبين الفلسطينيين. وتابوت العهد هذا عبارة عن خزانة من خشب، مكسوة بالذهب، فيه أُودع اللوحان الحجريان اللذان نقشت عليهما شريعة موسى، وأمور دينية أخرى.. ويسمى تابوت الشهادة أيضاً.[٨] لقد بلغ من شدة مقاومة الفلسطينيين لبني اسرائيل أن الملك شاؤول وأولاده الثلاثة كانوا قد قتلوا في إحدى المعارك معهم. ولم يخضع الفلسطينيون لليهود إلا خضوعاً جزئياً في عهد داود، خليفة شاؤول وفي عهد ابنه سليمان. إلا أنهم عادوا واستقلوا عنهم

---

٦ ـ المصدر السابق، ص ١٠٢.

٧ ـ «وكان الرب مع يهوذا، فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان البوادي، لأن لهم مركبات من حديد» الإصحاح ١، سفر القضاة.

٨ ـ العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ١٥٦.

استقلالاً كاملاً، بعد موت سليمان، وانقسام مملكته الى يهوذا واسرائيل، إلى أن خضع الجميع من يهود وفلسطينيين وكنعانيين للآشوريين. والفلسطينيون يشكلون حيزاً كبيراً في التوراة، لأنهم زاحموا اليهود، وبخاصة في أزهى عصورهم، على فلسطين.[٩]

٢ـ مملكة داود وسليمان:

كاد اليهود أن ينقرضوا بعد موت موسى وهرون ويشوع، لولا أن قُيض لهم قضاة منهم، أخذوا بيدهم، وخلصوهم من أعدائهم، وسمي هذا العهد بعهد القضاة (١١٢٥ ق. م. ـ ١٠٢٥ ق. م.).

وتذكر التوراة أن الموسويين لم يستطيعوا أن يطردوا سكان فلسطين في هذه الفترة، لذلك سكنوا بينهم.. بين اليبوسيين في القدس، والحوريين في نابلس، والفرزيين في بيت لحم، والزيديين في يافا.. وتزاوجوا معهم، وعبدوا آلهتهم الوثنية. لقد طلب اليهود من صموئيل، آخر كبار القضاة، أن يعين لهم ملكاً، أسوة بالممالك الكنعانية والفلسطينية المجاورة. فقد كان لكل مدينة، أو حتى قرية أحياناً، رئيس لها أو عمدة، كانوا يدعونه ملكاً، فعين لهم صموئيل شاؤول ملكاً عليهم. وشاؤول هذا، كما تذكر التوراة، من نسل بنيامين، شقيق يوسف. وبعد أن قتل

---

٩ ـ المصدر السابق، ص ١٠٥.

الفلسطينيون شاؤول وأولاده الثلاثة، تقلد الملك من بعده داود، قائد جيشه، الذي أظهر شجاعة وحنكة في محاربة جليات (جلعاد)، ملك الفلسطينيين. ومع هذا، فلم يتمكن داود من إخضاع القبائل اليهودية المتفرقة، بعد شاؤول، إلا بعد أن قتل أشبوشت بن شاؤول، وأبنير قائد جيشه.[١٠]

لقد اتخذ داود من مدينة الخليل عاصمة لملكة مدة سبع سنين، ثم استطاع، ولأول مرة في تاريخ اليهود، أن ينتزع القدس من أصحابها اليبوسيين، سنة ١٠٤٩ ق.م.، وأن يتخذها عاصمة لملكه.[١١] لقد ثار عليه بنو يهوذا في الخليل، بزعامة ابنه أبشالوم، لأنهم رفضوا أن تنقل عاصمة ملكهم لمدينة غير المدينة التي اعتادوا أن يعيشوا فيها، والتي دفن فيها أجدادهم: ابراهيم، واسحق، ويعقوب، وأولادهم وأحفادهم.. لقد كان يتردد اسم بيت يوسف قبل ظهور داود، بسبب فضل يوسف في إيواء إخوته في أعوام القحط في مصر. وبعده أصبح يتردد بيت يهوذا، بصفته بيت المُلْك، بيت داود وسليمان، أما بيت لاوي، بيت موسى وهرون، بيت الكهنة والكهانة، فإنه قد فرض نفسه على جميع المراحل. وما زال اليهود حتى يومنا هذا، يعملون على إقامة مملكة يهوذا، عليها ملك من نسل

١٠ - تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص ٤٣.

١١ - «وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم، إلى اليبوسيين سكان الأرض، وأخذوا منهم حصص صهيون» الإصحاح ٥، سفر صموئيل.

داود، حفيـد يهوذا، كما أن كبـار الحاخـامـات والكهنـة والأحبار ما زالوا ينتخبـونَ مـن نسـل مـوسى وهـرون، حفيدي لاوي، على حد زعمهم.

حكم داود مدة أربعين عاماً (١٠١٠ ق. م. - ٩٧١ ق.م.)، سبع سنوات منها في الخليل، والباقي في القدس، حيث بنى له فيها قصراً وهيكلا، عرفا باسمه. وجاء من بعده ابنه سليمان، فازدهرت المملكة في عهده، وشاع ذكره في المناطق المجاورة. وحكم سليمان أيضاً مدة أربعين عاما (٩٧١ ق. م. - ٩٣١ ق. م.). وبنى هو الآخر، كما فعل أبوه، لنفسه قصراً وهيكلا عرف باسمه.

وبعد موت سليمان انقسمت مملكته الى مملكتين: يهودا في الجنـوب، وعـاصمتهـا القـــدس، واسرائيـــل في الشمال، وعاصمتها السامرة. وهكذا فمملكة داود وسليمان لم تعمر سوى ٧٣ عاماً. ولأمر ما يردد مناحيم بيجين يهوذا والسامرة، كلما ذكر أمجاد بني اسرائيل.

يعتبر اعتلاء داود عرش أول مملكة لبني اسرائيل حدثاً عظيماً في تاريخ اليهود، لأن داود من نسل يهوذا، وبيت يهوذا لم يسهم، حتى اعتلاء داود العرش، في الأحداث التي تعرض لها بنو اسرائيل، إلا إسهاما ضعيفاً.. فلم يتسنم أحد منهم القضاء في عصر القضاة، على كثرة عدد القضاة.. والآن سنحت الفرصة لواحد منهم، لا ليصبح قاضياً، بل

ملكا، يحكم جميع الاسرائيليين على اختلاف أسباطهم، وهكذا أخذ اسما اليهود واليهودية يظهران الى الوجود من بعد داود، والتصقت التسمية بهم حتى اليوم، مع أنهم يكرهون كثيراً أن يسموا بها، لأنها التصقت في أذهان الناس بالاستغلال والغش والإجرام، ويفضلون الانتماء إلى اسرائيل، ولذلك سموا دولتهم دولة اسرائيل.

لقد كان نجاح داود في تأسيس مملكته نجاحاً محدوداً، وذلك لقصور همة شعبه عن مجاراة همته.. فلم يكن الشعب الذي حكمه شعباً واحداً متجانساً، بل إنه كان خليطاً متنافراً من: اسرائيليين، وكنعانيين، بينهم جيوب آرامية في الشمال، وجيوب فلسطينية في الساحل، وقبائل عربية صريحة في الجنوب والشرق، هذا بالاضافة إلى أن الإسرائيليين كانوا متباغضين متحاربين فيما بينهم. إلا أن حظ ابنه سليمان كان أحسن من حظه، إذ استطاع أن يوطد حسن جوار مع شيشنق، فرعون مصر، الذي زوجه من إحدى بناته، حتى يؤمن له ميمنته الشرقية من هجوم الأعراب عليه، عبر سيناء، كما تفاهم مع بلقيس، ملكة سبأ، على كثير من الأمور الهامة، ومنها تأمين طريق التجارة البري من اليمن عبر الحجاز إلى فلسطين.

وقبيل حكم داود بقليل، بدأت الموجة السامية الثالثة الآرامية تدق أبواب سوريا. وكان الآراميون آنذاك

يتحدثون بلهجة هي أقرب اللهجات الى اللغة العربية الأم، لحداثة خروجهم من الجزيرة العربية. لقد اكتسحت هذه اللهجة جميع اللهجات السامية التي سبقتها إلى المنطقة لتصبح لغة المنطقة، بل واللغة الرسمية في كثير من أقطار العالم التي كان يحتك الآراميون بهم بالتجارة، ولتصبح اللغة التي تحدث بها المسيح. لقد طرد الآراميون الحثيين الى الساحل، واستقروا في داخل البلاد، وأسسوا لهم إمارات في: إربد، ودمشق، وحمص، وحماة، وحلب، وفي جزء من نهر الفرات الشمالي، فيما عرف في التاريخ باسم آرام النهرين.

وقبل أن نخلف داود وابنه سليمان، وننتقل إلى مملكتهما، لنعطيها حجمها الطبيعي الذي عاشته فعلاً، علينا أن نتعرف على نسبهما، كما ورد في التوراة. فالتوراة تذكر أن داود هو ابن يسي، بن عوبيد، بن بوعز بن سلمون بن نحشون، بن عمينا داب، بن آرام، بن حصرون، بن فارص، بن يهوذا، بن يعقوب (اسرائيل). ولو مشينا مع التوراة قليلاً لأخبرتنا بأن يهوذا، جد داود الأقدم، كان قد اتصل بكنته تامار الكنعانية اتصالا غير شرعي، فولدت له توأمين: فارص، وزارح. أما بوعز، جد أبيه يسي، فإنه ابن راحاب الزانية وسلمون.. أما راحاب فقد عرفنا انها الجاسوسة الكنعانية التي خبأت جاسوسي يشوع في بيتها في أريحا، ودلتهما على عورات قومها، وأن يشوع كان تزوجها

تقديراً لخيانتها وتكريما لها. وأما سلمون فإنه كان أحد الجاسوسين الذي تزوج من راحاب، بعد أن مات يشوع عنها، فولدت له ابوعز. واقترن بوعز هذا بأرملة موآبية فولدت له عوبيد، الجد المباشر لداود. وأما سليمان فهو، كما عرفنا، ابن بغشباع، أرملة أوريا الحثي الذي اغتاله داود، كما تزعم التوراة، وتزوج من حسنائه.. فتصور كيف صنع اليهود من أنبيائهم وملوكهم أولاد زنى، وزناة مجرمين!!

٣ ـ حجم المملكة والهيكل:

والتوراة، حين تتكلم عن مملكة داود وسليمان، وحين تتكلم عن هيكل سليمان، إنما تتكلم بفخر زائف، لا يصمد للمناقشة التاريخية الجادة.. فهي تضم إلى المملكة جميع المدن والقرى الفلسطينية، التي عرفها اليهود والتي لم يعرفوها. وتضم إليها أحياناً أدوم، وموآب، وعمون بشرقي الأردن، كما تضم مملكة صوبا الآرامية بما فيها مدينة دمشق. ويشطح بها الخيال أحياناً أخرى فتمد المملكة إلى حلب وحران في أرض الجزيرة الفراتية. وقد تجتاز بها سيناء إلى نهر النيل. ولربما اجتازت بها الآفاق فمدتها إلى اليمن والحبشة، فزوجت بلقيس من سليمان، وأخرجت من نسلهما المزعوم، أجداد الأسرة الملكية التي كانت تحكم الحبشة، ومنهم هيلا سلاسي، أسد يهوذا، كما كانت تلقبه الماسونية، وكما كانت

تفرض على كبار رجالها أن يزوروه في أديس أبابا، لينعموا ببركاته، بصفته حفيد يهوذا، وابن سليمان وبلقيس، مع أن بلقيس كانت متزوجة من رجل يماني، يدعى ذا تبع الأصفر، حين التقت بسليمان.» وهكذا بنى اليهود على امبراطورية داود وسليمان العظيمة تعابير لا وجود لها في أي قاموس علمي أو سياسي أو تاريخي مثل: «العلاقات التاريخية». «والحق التاريخي».. و «أرض الميعاد».[١٢]

والحقيقة التي لا مراء فيها أن مملكة داود وسليمان التي تبجحت التوراة بها كثيرا، فجعلتها تمتد من الفرات إلى النيل، لم تكن لتشمل غير يهوذا والسامرة.. يهوذا والسامرة فقط، أي المنطقة الجبلية الممتدة بين مدينتي الخليل ونابلس، وكلها مدن كنعانية يبوسية فرزية كان يتخللها بعض اليهود،[١٣] بدليل أنها انقسمت بعد موت سليمان إلى مملكتي يهوذا واسرائيل، ليس غير. لقد كانت مملكة من خمسين مملكة عايشتها في فلسطين،[١٤] ولو أنها كانت أكبر تلك الممالك وأقواها. فأين من ذلك دمشق، وتدمر، وحلب وحران.. بل أين من ذلك الحبشة ومصر؟

إن قيمة فلسطين الحقيقية كانت وما تزال تكمن في قداستها وموقعها الاستراتيجي، بالدرجة الأولى.

---

١٢ - تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص ٥٢.
١٣ - حقيقة الماسونية، د. محمد علي الزعبي، ص ٧٢.
١٤ - العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ٢٩٦.

لقد انتهت مملكة سليمان بموته، ولما تنته في نفوس اليهود ونفوس المخدوعين بأضاليلهم. لقد كانت مملكة صغيرة محصورة، قيمتها ليس في اتساع رقعتها على الأرض، وإنما في اتساع ملكوتها في السماء.. « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة، وآتيناهم ملكاً عظيماً.».. فالملك العظيم إذن أساسه الكتاب والحكمة، وليس اتساع الرقعة الجغرافية، إذ، « لا يوجد في فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب الى المملكة اليهودية. لقد فشلت اليهودية في أن تقدم أي أثر لداود وسليمان.»(١٥) ولهذا فإن ما زعمته التوراة في سفر التكوين بقولها: « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى نهر الكبير »وتأكيد هذا الوعد بقولها: « وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً». وأما ما ادعته لإسرائيل وأسباطه في سفر التكوين « ليستعبد لك ملوك، وتسجد لك قبائل» وما زعمته في سفر اللاويين: « وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك، تستعبدونهم أبد الدهر» وما تبجحت به في سفر الخروج: « لي كل الأرض، تكونون لي مملكة وأمة». وفي سفر حزقيال: « وتأكلون لحم الجبابرة، وتشربون دماء رؤساء الأرض» وما تطاولت به في السفر نفسه: « كل شريعة غير شريعة

---

١٥ ـ فرانسيس نيوتن، الانتداب على فلسطين، ص ٤٨ ـ ٤٩.

موسى فاسدة، وكل سلطة غير سلطة اسرائيـل مغتصبـة».
وأما ما منحهـم إيـاه «مـدنـاً لم تبنهـا، وبيـوتـاً مملـوءة كل خير لم تملأها، وصهاريج محفورة لم تحفرها، وكروماً وزيتوناً لم تغرسها».. فذلك كله زيف وضلال وتضليل، يكذبه ما جاء في سفر العدد على لسان موسى بقوله: «نحن في أعين الفلسطينين كذباب». ويكذبه ما جاء في سفر يشوع: «وقد بقيت للامتلاك أراض كثيرة جدا»[16].
«وأغلب الظن أن مملكة داود لم تلامس البحر إلا عند بوبا (يافـا)»[17].. «أمـا نحن فلسنـا نقطـن بلـداً يقـع على الساحل»[18].. «فلم يحل بنو اسرائيل في البحر، وذلك لأنهم لم يكونوا سادة للساحل»[19].

أما عدد سكان المملكة فحدث عنه ولا حرج.. مملكة تمتد من الفرات إلى النيل، لا بد وأن يكون عدد سكانها بضع عشرات من الملايين، على الأقل، وإلا لما استطاعت أن تقابل زارح، ملك الكوشيين، الذي زحف على مملكة يهوذا بألف ألف مقاتل (مليون)، فلم تبقِ منه يهوذا أحداً[20]، ولا عجب في ذلك، فإخوان شمشون الجبار

---

١٦ ـ الإصحاح، ١٦ سفر يشوع.
١٧ ـ تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص ٤٨.
١٨ ـ المؤرخ اليهودي يوسفيوس
١٩ ـ اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص ٢٦.
٢٠ ـ الإصحاح ١٤٠، سفر أخبار الأيام.

كأنوا أعمدة هذا الجيش الجرار المظفر.. ذلك الشمشون الذي جعلت منه التوراة أسطورة الأساطير.. ولا أدري كم كان البعد بين كل عمود وعمود في ذاك الهيكل الذي هدمه شمشون على رأسه ورأس أعدائه الفلسطينيين.. بل كم كان طول ذراعي شمشون حتى استطاعتا أن تضم اليهما أعمدة الهيكل، وكم بلغت قوته فتدك الهيكل من أساسه!

لقد جارى كتاب التوارة السومريين والبابليين والكنعانيين في وصف خوارق آلهتهم الوثنية، لئلا يظهروا بمظهر الضعف أمامهم. وعلى البشرية أن تصدق كل هذا الهذر، ما دام الكتاب هو التوراة، وما دام الكتبة من الأحبار الربيين.

يحدثنا التاريخ أن سليمان كان قد تنازل لحيرام، ملك صور، عن بعض مدن مملكته، سدادا لبعض ديونه عليه. كما يحدثنا أنه، حين عجز عن احتلال مدن الساحل الفلسطيني وانتزاعها من أيدي الفلسطينيين، استنجد بشيشنق، فرعون مصر، فأنجده واحتل له تلك المدن، وقدمها إليه مع ابنته هدية، حتى يؤمن له ميمنته، من الأعراب الذين كانوا كثيراً ما يغزون أطراف مملكته عبر سيناء. لقد كان حرس سليمان الخاص من الفلسطينيين، من مدينة جت الساحلية.[٢١] ولم تنقض على وفاة سليمان سوى

٢١ ـ المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل، محمود نعناعة، ص ٢٠٦.

بضع سنوات حتى غزا شيشنق مملكته، فدخل أورشليم، ونهب ما كان فيها من كنوز. وحتى هيكله، هيكله هذا الذي وضعت فيه التوراة ألوف المقاعد الفضية والذهبية، وأقامته على مئات الاعمدة الرخامية، والذي جعلت منه الماسونية لحن الألحان وأغنية الخلود... هيكله هذا لم يكن سوى بناء عادي بسيط[٢٢]، أهم ما فيه ساحته، التي كان اليهود قد حولوها الى سوق تجارة، وبورصة مضاربات، فيها توثق عقود الربا، وتحاك المؤامرات، ويلتقي فيها العشاق، وتباع فيها الأعراض، ويُلاعب الحَمام... ولذلك جأر المسيح بقوله: «سيهدم، سيهدم، ولا يبقى فيه حجر على حجر». لقد كان بيت الرب سوقاً إذن، وماخور دعارةٍ، وملعبَ حمامٍ... لا يذكر اسم الله فيه إلا لماماً، في الأعياد والمناسبات فقط.

ولم يكن اليهود، في زمن داود وسليمان، على جانب من الحضارة والمدنية تمكنهم حتى من بناء هيكلهم، لذلك استقدم سليمان المعلم حيرام، من مدينة صور الفنيقية ليبني له هيكله، على الطراز الفنيقي، وبأيد كنعانية فنيقية.. وما لنا نذهب بعيداً في التغزل بالهيكل وعظمته، وحائط المبكى (حائط البراق) لا يزال ماثلاً أمام أعيننا في القدس..

٢٢ ـ جميع الأماكن المقدسة قديماً كانت أبنيتها بسيطة، وكانت تعتمد على الساحات المكشوفة، التي كان يتجمع فيها الناس للعبادة، أو للاجتماعات العامة. والكعبة المشرفة خير مثال على ذلك.

حائط بسيط، لا يمتاز عن حيطان الأبنية القديمة المجاورة له بشيء.. إن التبجح باتساع مملكة داود وسليمان وقوتها، وعظمة الهيكل وشموخه، إنما جاء متأخراً: بدأ به مدونو التوراة في الأسر البابلي، ليبثوا الحمية والثبات في نفوس اليهود المضطهدين هناك، وثنى به يهود الأسر الروماني، بعد خراب الهيكل.. ثم جاءت الماسونية فتلقفته لتجعل منه سور الصين وأهرام مصر، فتحث بذلك عميانها لإعادة بناء دولة اسرائيل، بشكل يتناسب مع عظمة الهيكل العظيم! ولو استقرأنا التاريخ لأخبرنا بأن داود كان قد اشترى، حين انتقل من الخليل إلى القدس، بيدرا من اليبوسيين، بسفح جبل موريا، أحاله الى مذبح. وحين خلفه ابنه سليمان، أحال المذبح إلى بيت للعبادة، يتسع لخمسين رجلاً، يجلسون على كراسي من الحجارة. وحين جاء المسيح وجد اليهود يزعمون بأنه بيت الرب، أي المكان الذي يسكن فيه على الأرض، ولا تجوز الصلاة إلا فيه، فصحح لهم المسيح هذا الاعتقاد، وصرح بأن الله يقبل العبادة في أي مكان لأن له ملكوت السماء والأرض. وهكذا أنهى المسيح دور الهيكل في حياة اليهود، فعاد بيدراً يبوسياً كما كان. ومن هنا حقد اليهود على المسيح، بالدرجة الأولى، وحاربوه.

لقد كانت مملكة داود وسليمان مملكة كنعانية، سداة ولحمة.. فجميع المدن والقرى كانت موجودة في فلسطين، بأبنيتها وأسمائها، قبل مجيء قوم موسى اليها، بل إنها

كانت كذلك قبل مجيء ابراهيم اليها.. وهذه هي التوراة تنقل لنا رحلة ابراهيم من حران الى الخليل من مدن وقرى كنعانية.. كنعانية الإسم والحجر والشجر. وكذلك كانت مملكة داود وسليمان كنعانية بحرفها ورقمها ولغتها وطراز عيشها، وكل مظاهر حياتها.. اليست هي «أرض كنعان» كما تذكر التوراة كلما ذكرتها؟ فالشخصية اليهودية لم تكن قد برزت بشكلها المعروف، إلا بعد تدوين التوراة في بابل والقدس في القرن السادس قبل الميلاد. فتدوين التوراة هو الذي يمثل بداية بروز الديانة اليهودية، والشخصية اليهودية التي عرفت بها. وحتى مزامير داود وسليمان فقد كانت، كما أُسلفنا، من أصل كنعاني، وكانت تتلى في الهيكل باللغة الكنعانية، ثم ترجمها مدونو التوراة إلى العبرية، فيما بعد، وعدّوها من الأسفار المقدسة. «لقد كان اليهود طيلة تاريخهم، إما عـابـري سبيل، أو لاجئين، أو مغتصبين لأجزاء من أرض كنعان، ولفترة بسيطة. إنهم لم يسيطروا على كامل أرض فلسطين سيطرة كاملة أبداً».(٢٣)

٤ - يهوذا واسرائيل:

بعد موت سليمان مباشرة انقسمت مملكته إلى مملكتين: يهوذا في الجنوب، وعاصمتها القدس، وملكها رحبعام بن سليمان، واسرائيل في الشمال، وعاصمتها شكيم (نابلس)، ثم

٢٣ - تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص ١١.

انتقلت الى السامرة (سبسطية)، وملكها يربعام بن ناباط، الذي كان قد ثار على سليمان قبل موته، وفر لاجئاً إلى مصر، وحين توفي سليمان عاد يربعام من مصر، وشق عصا الطاعة على رحبعام، واستقل بمملكته في اسرائيل. وحتى يبعد يربعام أنظار يهود اسرائيل عن هيكل القدس، صنع صنمين من ذهب، وضع الأول في بيتيل، ووضع الثاني في دان، وطلب من الناس تقديسهما. بقيت المملكتان: يهوذا واسرائيل، في حروب متواترة فيما بينهما، ومع الشعوب والممالك المجاورة لهما، حتى غزا الآشوريون المنطقة كلها، فقضى بذلك سرجون الثاني على مملكة اسرائيل الشمالية، سنة ٧٣٢ق. م. قضاء تاما، فنفى سكانها إلى الشمال.. إلى حران والخابور وميديا، وأحل محلهم آراميين من سكان حماة، وحثيين من سكان المدن الشمالية. والسمرة في مدينة نابلس، كما مر معنا،من بقايا أولئك الحثيين، ولو زعموا غير ذلك. وهكذا اختفى سكان مملكة اسرائيل نهائياً من التاريخ.

أما مملكة يهوذا فقد غزاها نبوخذ نصر، سنة ٥٩٧ ق. م.، غزوته الأولى، واخذ معه ملكها يواكيم وحزقيال أسيرين إلى بابل، ونصب زيـديكياه ملكاً عليها، إلا أن هذا ثار عليه، مما دعا نبوخذ نصر إلى العودة إلى القدس ثانية، وحصارها مدة ١٨ شهراً، وسبى اليهود السبي الأول

إلى بابل، سنة ٥٨٦ ق. م.. بعد ذلك هاجر من بقي من اليهود حياً إلى مصر، وكان في هؤلاء إرميا، الذي كان قد تنبأ بهذه النهاية المحزنة، ونبه اليهود الى مغبة أعمالهم مسبقا. وبذلك اختفت مملكة يهوذا هي الأخرى من التاريخ، بعد أن عاشت نيفا و ١٣٠ عاماً بعد سقوط اسرائيل. ومع هذا، فمملكة يهوذا لم تسلم من الغزو إبان هذه الفترة.. فقد غزاها الآشوريون، سنة ٦٧٧ ق. م.، وأسروا ملكها منسي، ونفوه إلى العراق. وفي سنة ٦١٠ ق. م. هاجم نخو، ملك مصر، يهوذا وفرض الجزية عليها. وبعد سقوط يهوذا زال ملك اليهود نهائيا، وبدأوا من جديد يبحثون عن أنفسهم، في كنف الدول الكبرى، والامبراطوريات الواسعة، حتى سباهم الرومان السبي الثاني، سنة ٧٠ ب. م. فتفرقوا في جميع أقطار الأرض، شذر، مذر.

٥ ـ اليهود بين سبيين:

بقي اليهود في الأسر البابلي يعيشون عيشة ذل وهوان، لدرجة أن أجبرهم البابليون على أن يتخذوا لأنفسهم زياً خاصاً وهيئة خاصة يعرفون بها، فلا يضيعون بجرائمهم في زحمة الناس.. بقوا في الأسر البابلي مدة ٤٧ عاماً إلى أن أعادهم ابن غانيتهم أستير، كورش الأخميني إلى القدس، سنة ٥٣٩ ق. م.، بعد أن دمر كورش بابل على رؤوس البابليين، انتقاماً لأخواله اليهود، فعاد قسم منهم، بقيادة

زروبابل، إلى القدس وفضل قسم آخر البقاء في العراق، حتى قامت دولة اسرائيل، سنة ١٩٤٨م.

لقد ساعد كورش أخواله ببناء الهيكل، سنة ٥٣٦ ق. م.، تحت حراب الفرس، ومقاومة اليبوسيين، سكان البلاد الأصليين، إلا أن كورش مات قبل أن يتم بناء الهيكل، فأوقف خليفته سمرويش بناءه، بسبب مقاومة اليبوسيين إلا أن دارا الأول، خليفة سمرويش، أمر بمعاودة البناء، فتم ذلك سنة ٥١٥ ق. م. وهكذا بقيت الدول الهزيلة التي أقامها اليهود في يهوذا، منذ رجوع اليهود إليها من بابل حتى السبي الروماني، دولاً تابعة للدول العظمى: الفرس، فاليونان، فالرومان(٢٤). ولم يقم لليهود كيان شبه مستقل إلا في زمن الميكابيين ولفترة لم تجاوز قرناً واحداً من الزمان.. فقد بقي اليهود، طيلة الحكم الفارسي، أقلية محصورة في القدس وما جاورها، إلى أن سقطت المنطقة بكاملها تحت الحكم الإغريقي، سنة ٣٣٢ ق. م. حين غزا الإغريق العالم، بقيادة الإسكندر المكدوني. وتناوب حكم المنطقة بكاملها

٢٤ ـ لقد تجاهل هيرودوتس، الملقب بأبي التاريخ، في القرن الخامس قبل الميلاد، ذكر دولة اليهود، ما عدا مدينة القدس، وبعض أماكن لا تبعد عنها بأكثر من عشرة أميال. ويعلق د. فوكس جاكسون، أستاذ التاريخ بجامعة كمبردج في كتابه «يوسف واليهود» على موقف هيرودوتس هذا بقوله: «لقد كانت مملكة يهوذا غاية في الصغر، وكان سكانها من الضآلة لدرجة أن السائحين الذين كانوا يزورون فلسطين آنذاك، كانوا لا يسمعون عن اليهود شيئاً. فلا بد أن القدس كانت أيام نحميا ـ المعاصر لهيرودوتس ـ مدينة خاملة الذكر جدا، بحيث لا تغري سكان المدن المجاورة بسكناها. واليهود لم يكونوا قوة في البلاد إلا حوالي منتصف القرن الثاني ق. م. في فترة حكم الميكابيين. تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص ٩٨.

خلفاء الاسكندر: البطالسة في مصر، والسلوقيون في بلاد الشام، وفي عام ٣٢٠ ق. م. ثار اليهود على بطليموس، فهدم هذا القدس وأحرقها، ونفى مائة ألف أسير منهم إلى مصر، وحين انتقل الحكم من البطالسة إلى السلوقيين، احتل انطوخيوس القدس، سنة ١٦٨ ق. م. فثار عليه اليهود، فأخضعهم وهدم أسوار المدينة، ونهب الهيكل وقتل عدداً كبيراً منهم، وأجبرهم على ترك الديانة اليهودية والارتداد الى الوثنية. وفي هذه الأثناء ظهر الميكابيون سنة ١٦٦ ق. م. فاستطاعوا أن ينتزعوا من السلوقيين كيانا شبه مستقل، دام ما يقرب من قرن واحد من الزمان، لم يكن لليهوذ خلاله كيان متماسك، وإنما كانوا متنازعين فيما بينهم على السلطة، تنازعهم عليها بعيد موت سليمان. وفي عام ٦٣ ق. م. احتل بومبي الروماني مدينة القدس بدعوة من اليهود الفريسيين، وهم طائفة من اليهود كانوا متمسكين بحرفية الشريعة[٢٥]. لقد طالب الفريسيون أيضاً الإمبراطور الروماني أنطونيوس بأن ينحي الملك الأدومي هيرودوس عن حكمهم، قبيل ظهور المسيح، وأن يعين واليا رومانيا بدلاً منه، وأن يضع فلسطين تحت الحكم الروماني مباشرة

٢٥ ـ كان اليهود منقسمين آنذاك إلى فئتين كبيرتين: الفريسيين والصدوقيين. أما الفريسيون فكانوا متمسكين بحرفية الشريعة، متشددين في تطبيقها، وأما الصدوقيون فكانوا أكثر تسامحاً منهم، إذ كان التدين بالنسبة لهم مظهراً اجتماعياً، وليس شريعة حرفية تطبق بحذافيرها، وكان الصراع بين هؤلاء، وأولئك على أشده، مما دعا الفريسيين إلى طلب الحماية لهم ولمذهبهم من الرومان الوثنيين.

مفضلين حكم الأجنبي على حكم اليهودي، ولهذا فإن تيطس حين بطش باليهود وسباهم، سنة ٧٠ ب. م. لم يبطش بهم جميعاً، ولم يسبهم جميعاً، وإنما سبى وبطش بأولئك الذين ثاروا عليه من اليهود والصدوقيين. أما الفريسيون فبقوا يعيشون في الأودية المجاورة للقدس، حتى فتحها العرب المسلمون، لأنهم كانوا يدنيون بولائهم للرومان.

استباح بومبي القدس عند فتحها، فنهبها وفتك بسكانها، وجاء من بعده يوليوس قيصر، فعامل اليهود بالحسنى. وفي عام ٣٧ ق. م. ولت روما هيرودوس الأدومي ملكاً عليهم. وهيرودوس هذا كان وثنياً، اعتنق اليهودية ليتسنى له حكم اليهود. لقد كان حاقداً على الميكابيين الذين قتلوا أباه، فحاربهم لذلك وهزمهم وكافأته روما على ذلك بأن عينته ملكاً على فلسطين. فبقي في الحكم حتى سنة ٤ ب. م. وفي زمنه أعيد بناء الهيكل للمرة الثانية، وولد المسيح. لقد كان اليهود بعامة يمقتون هيرودوس هذا، لأنه كان مولعاً بالثقافتين: اليونانية والرومانية، ولأنه أدخل الأوثان إلى المدن الفلسطينية.

لقد كانت فلسطين، إبان الحكم الروماني، ولاية تابعة لحاكم سورية الروماني. وكان هذا الحاكم يعين عليها ملكاً من اليهود، يحكمهم باسم القيصر في روما، يساعده مجلس

مكون من سبعين حاخاماً من كبار حـاخـامـاتهم، يعـرف بمجلس السنهدرين. وكان مجلس السنهدرين هذا يعنى بشؤون اليهود الدينية والاجتماعية، بالدرجة الاولى. وكان اليهود، ابتداء من هيرودوس وانتهاء بأغريباس الثاني، من الأدوميين الذين أكرههم الملك هيركانوس الحشموني، بين عامي ١٣٥ - ١٤٠ ق.م. على التهود. لقد كانت طبقة العامة من الشعب اليهودي آنذاك طبقة مضطهدة فقيرة ترزح تحت اعباء ضرائب روما والهيكل، لقد دعا الفقر وتفشي البطالة هذه الطبقة إلى امتهان السرقة وقطع الطرق، لدرجة أن استوفى الحاكم الروماني مرة ما لروما على اليهود من ضرائب من ذهب الهيكل مباشرة. وكان هؤلاء يعيشون عيشة تعيسة، لا بسبب ظلم الرومان فحسب، بل وبسبب ظلم ملوكهم وأغنيائهم لهم، بالدرجة الأولى.

وبعد هيرودوس تولى حكم فلسطين ولاة قساة، منهم بيلاطوس البنطي، الذي حوكم في عهده المسيح. حاكمه مجلس السنهدرين وحكم عليه بالموت. اما بيلاطوس فقد غسل يديه بالماء حين سلمهم إياه قائلا: «إنني بريء من دم هذا القديس». وفي عهد الامبراطور الروماني فسبسيان، عين ابنه تيطس حاكما على فلسطين. وتيطس هذا هو الذي سبى اليهود السبي الثاني، سنة ٧٠ ب. م.، بعد أن أحرق المدينة بكاملها، ودكها على رؤوس ساكنيها.. ولم تلبث

فوضى ذلك الشعب الصغير المزعج وفساده وضوضاؤه أن استنفدت صبر روما، فعزمت على إبادته، لكيلا تسمع حديثاً عنه.[٢٦] . «وعسكر على خرائب القدس السوداء فيلق روماني، بعد أن أزيل الهيكل من الوجود، وعرضت أقدس أوانيه وكتبه في ساحة روما.»[٢٧]

وبعد تدمير المدينة وحرقها، وبعد زوال الهيكل، اجتمعت فلول اليهود الهاربة في العريش. وبعد ان تدارسوا أمرهم، أقسموا، قبيل رحيلهم وشتاتهم في المنافي والمعازل (الدياسبورا) على خمسة مبادىء ظلت دستور عملهم، وما تزال نجوماً تهديهم إلى ضلالهم، وتضليل غيرهم من الأغيار، وهذه المبادىء هي:

١ ـ أن يبقوا محافظين على دينهم، مهما لاقوا في ذلك من عنت وعناء.

٢ ـ أن يبقوا محافظين على لغتهم إلى جانب أي لغة قد يضطرون إلى تعلمها.

٣ ـ أن يبقوا على اتصال دائم فيما بينهم، مهما بعدت الشقة وتفرقت بهم السبل.

٤ ـ أن يعملوا، وبكافة الوسائل المتاحة، على الرجوع إلى أرض الميعاد، وأن يقولوا كل صباح: «شلت يميني ان

---

٢٦ ـ اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص ٤٢ .

٢٧ ـ تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص٩٠ .

نسيتك يا أورشليم » .

٥ ـ أن يعملوا على إفساد جميع شعوب الأرض، بأية وسيلة ممكنة .

حمل اليهود مبادئهم الخمسة هذه، وتشتتوا في جميع أنحاء الأرض يعملون بها، وكانت هذه المبادىء هي السبب المباشر في كل ما تعرض له اليهود من ويلات، منذ ذلك التاريخ، حتى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة، أو يغيروا من هذه المبادىء، ويقلعوا عما هم فيه من ضلال وتضليل .

وفي عام ١٣٥ ب . م . ثار اليهود الذين بقوا بعد السبي الروماني، يسكنون الجبال المجاورة للقدس، ثاروا بقيادة باركوخبا،(٢٨) فأخضع الامبراطور هادريان ثورتهم، وحول أورشليم إلى مستعمرة رومانية، حرم على اليهود دخولها وسكناها، وسماها إيليا كبتولينا . لقد أسكن هادريان في القدس جالية رومانية يونانية، وأقام فيها معبداً للإله اليوناني جيوبتر، على أطلال الهيكل القديم .. ويقال بأنه قد انشأ معبداً آخر لڤينوس . وكانت هذه الضربة آخر ضربة وجهت لليهود في فلسطين . وظلت أورشليم تعرف بهذا الاسم الروماني، إيليا كبتولينا، إلى أن تنصر

---

٢٨ ـ اسم باركوخبا الحقيقي سيمون، وقد ادعى بأنه المسيح المنتظر . وحين أرسل هادريان جيشاً كبيراً احتل به القدس، هرب باركوخبا ومن بقي معه إلى قرية بتير، المجاورة للقدس، وتحصنوا في قلعة موجودة حتى اليوم، تعرف باسم « خربة اليهود » .

الإمبراطور قسطنطين وأمه هيلانة، سنة ٣١١ ب. م. فأعاد اليها اسمها القديم الذي عرفت به، أورشليم، كما أعاد أحكام هادريان الخاصة فمنع اليهود من الإقامة في القدس، وأخذ يضطهدهم.

ولما جاء الإسلام لم يكن في القدس ذاتها أي يهودي لأن اليهود كانوا أنذاك أقلية لا تذكر في الجبال المجاورة للقدس. ولما قدم عمر بن الخطاب إلى المدينة ليتسلم مفتاحها من البطريرك صفرونيوس، كان من شروط العهدة العمرية «ألا يسكن بإيلياء أحد من اليهود»[٢٩]. ومع هذا فان الأمن والأمان اللذين أفاء بهما الإسلام على شعوب البلاد المفتوحة سهل لليهود العودة إلى فلسطين من منافيهم، بأعداد كبيرة، والاستيطان حول مدينة القدس. وبعد أن انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين، عادت أعداد أخرى منهم من المنافي إلى فلسطين، حيث كانوا يضطهدون ويذبحون. لقد كانت ديار الإسلام جنة لليهود، وجدوا فيها الحماية والرعاية والرفه. لقد استقبل الملك العادل، أخو صلاح الدين، ثلاثمائة حاخام يهودي استقبالا ودياً، حين قدموا من أوروبا لزيارة القدس[٣٠].

بقي اليهود ممنوعين من دخول القدس، حتى جاء

---

٢٩ ـ خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل، ص ١٣١.

٣٠ ـ تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص ١١٨.

خديوي مصر، محمد علي باشا، فسمح لهم بدخولها، لأول مرة، منذ منعهم الرومان من دخولها حتى عهده.

٦ ـ اليهود في المنافي (الدياسبورا):

انتشر اليهود، بعد أن أقسموا على مبادئهم الخمسة في العريش، في المنافي في كل مكان، يمارسون فيها جرائمهم ومخازيهم.. فمنهم من ذهب إلى الجزيرة العربية جنوبا، فأقاموا في: تيماء، وفدك، وخيبر، ويثرب، ونجران. حتى جاء الاسلام فأجلاهم عنها، بعد أن حاربوا النبي ودعوته. ومنهم من انتشر على شطوط البحر المتوسط، شمالاً وجنوباً، في مصر، وفي الشمال الإفريقي، وفي المدن اليونانية، والرومانية والفرنسية والإسبانية التجارية كنابولي، وجنوة، والبندقية، ومرسيليا، إلا أنهم ما كادوا يستقرون في الأماكن التي استقروا فيها، حتى أخذت تطاردهم جرائمهم ومخازيهم، وليس حقد الناس عليهم وحدهم لهم، كما يزعمون... فقد طردوا من انجلترا نهائيا سنة ١٢٧٥ م. وسنة ١٧٠٠ م.، وطردوا من فرنسا سنة ١٣٠٦م. ، ومن سكسونيا سنة ١٣٤٨ م.، ومن هنغاريا سنة ١٣٦٠م.، وسنة ١٥٨٢ م. ومن بلجيكا سنة ١٣٧٠ م.، ومن سلوفاكيا سنة ١٣٨٠ م.، وسنة ١٧٤٤ م.، ومن النمسا سنة ١٤٢٠ م.، ومن هولندا وبلجيكا سنة ١٤٤٤م، ومن اسبانيا سنة ١٤٩٢ م.، ومن ليتوانيا سنة

١٤٩٥ م.، ومن البرتغال سنة ١٤٩٨ م.، ومن ايطاليا سنة ١٥٤٠م.. ، ومن بفاريا سنة ١٥٥١ م.، وهكذا.[٣١] ولم يكونوا يجدون ملجأ أميناً لهم إلا في ديار العرب والمسلمين. أما في العصور الوسطى فإننا سوف نراهم يطاردون في بلدان أوروبا الشرقية: روسيا، وبولونيا، وورومانيا، والمجر.. عند الكلام عن الشيوعية. كما أننا سوف نراهم يطاردون في ألمانيا وبلدان وسط أوروبا، عند الكلام عن الحربين العالميتين: الأولى والثانية.

وما كان العالم يطارد اليهود في مكان، حتى ينتقلوا الى مكان آخر، بعد أن يكونوا قد غيروا من ملابسهم وهيئتهم الخارجية، دون ان يغيروا شيئاً من طباعهم وما ربوا عليه، فاليهود لم يحاولوا طيلة تاريخهم الطويل، أن يتعايشوا مع الشعوب التي كانوا يحلون بينها، بل حرصوا على أن يتحوصلوا في الغيتو (حارة اليهود)، يتخفون فيها وراء أسوارها وأزقتها، يضعون فيها الخطط لابتزاز الناس واستغلالهم وإفسادهم. لقد كانت أرض جاسان بمصر أول غيتو لبني اسرائيل، وكانت بابل الغيتو الثاني، أما بعد السبي الروماني فقد انتشر بينهم الغيتو لدرجة أن أصبح لهم في كل مكان حلوا فيه غيتو، فرضوه على أنفسهم، قبل أن يفرضه الأغيار عليهم. وفي هذا الغيتو كان اليهود

٣١ ـ تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص ١٠٩ ـ ١١٥، أحجار على رقعة الشطرنج، وليام غاي كار، ص ٥٧ ـ ٦٢.

يضربون، ومنه كانوا يهجرون.

« لقد عطل اليهود كثيراً من طقوسهم الدينية في المنافي، لأنهم زعموا بأنه لا تصح ممارستها إلا بعد الرجوع إلى أرض الميعاد. »[٣٢]

٧ ـ اليهود على هامش التاريخ:

لقد كان اليهود، منذ ظهور موسى حتى ظهور المسيح، يتذبذبون بين التوحيد والوثنية.. فما كانوا يستمعون لأحد الأنبياء فترة، حتى يعودوا لعبادة البعليم وعشتاروت وغيرهما من أصنام الشعوب الذين كانوا يحكمونهم أو يعيشون في كنفهم. وهذا يدل على أن اليهود كانوا أقلية مستضعفة في بحر وثني، تأثروا به أكثر مما تأثر بهم، وإلا لكانوا قد نشروا دينهم في العالم، انتشار المسيحية والإسلام.

هذا، ولم يترك اليهود، حتى في أوج عظمتهم في مملكة داود وسليمان، أي كيان سياسي خاص بهم، لا في فلسطين، ولا في غير فلسطين، وإنما تركوا ديانة كانوا قد أفسدوها بكثرة ما أدخلوا عليها من الوثنية الكنعانية والبابلية وغيرها. ولم يستطع اليهود أن ينشئوا لهم أي كيان يذكر إلا في الفترات التي كانت تخمد فيها القوتان الرئيسيتان، في مصر والعراق. وحتى مثل هذه الكيانات الهزيلة كانت

---

٣٢ ـ مؤامرة اليهود على المسيحية، إميل الخوري حرب، ص ٢٠

سرعان ما تنهار، بسبب قلتهم وضعفهم وجبنهم وانقسامهم على أنفسهم. وهكذا ما تجمع اليهود، منذ أن تجمعوا لأول مرة في العالم، إلا ليضربوا ويهجروا.

لقد بقيت دعوة المسيح محاصرة فيهم، مدة ثلاثة قرون، إلى أن قيض الله لها امبراطوراً وثنياً، هو الامبراطور قسطنطين، فك الحصار عنها، وأعلى من شأنها. وشاء الله ألا تكون دعوة الإسلام فيهم. فانتشرت لذلك في العالم انتشار النور، في الظلام. أما هم فقد قبروا كل رسالة، وحاربوا كل نبي، لا لسبب إلا لأنهم يأكلون التراث أكلا لما، ويحبون المال حباً جماً، ولهذا حاربهم القرآن، وحاربهم الإنجيل حرباً لا هوادة فيها.. ولهذا اتخذوا من الجريمة والرذيلة والاستغلال حرفاً احترفوها على مدى التاريخ. وسيبقى اليهود «عشاً في خطر» كما قال نيتشه، ما داموا لا يحسنون التعايش مع الناس ولا يستطيعون أن يتهجوا «السلام والأمن» تهجئة صحيحة صادقة.

الفهرس



الإدارة والمكتبة - العبدلي - عمارة جوهرة القدس
مقابل وزارة التربية والتعليم
تلفون : ٦٤٠٩٣٧ ، ٦٤٠٩٣٧ ، ٦٢٨٣٦٢
ص.ب : ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن

مكتبة دار الفرقان - إربد - مقابل جامعة اليرموك
تلفون : ٢٧٦٥٠٦

مكتبة دار الفرقان - الشونة الشمالية - شارع فلسطين
مقابل مسجد الشونه الكبير - تلفون : ٢٣٧٣٥٥